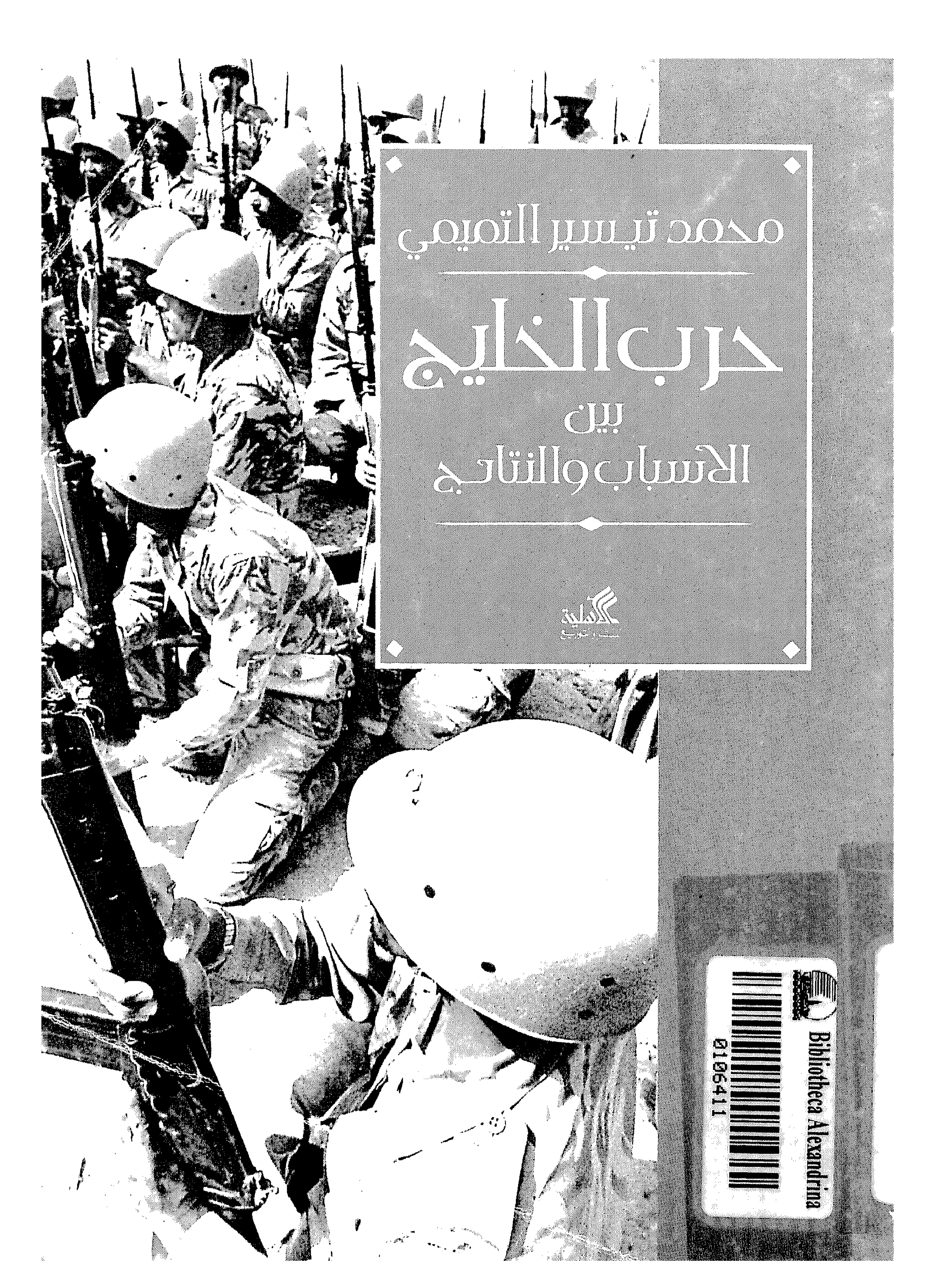

محمد تيسير التميمي
حرب الخليج
بين
الاسباب والنتائج
Bibliotheca Alexandrina
0106411




حرب الخليج
بين
الاسباب والنتائج

٩٥٦٩

محـ محمد تيسير التميمي

حرب الخليج بين الأسباب والنتائج / محمد تيسير التميمي

عمان: د. ن ١٩٩٣

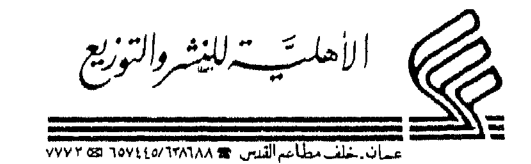
(١٧٦) صفحة

ر. أ. ١٩٩٢/١٢/٩٣٧

١. دول الخليج . . تاريخ ٢. العرب . . أوضاع سياسية

٣. العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

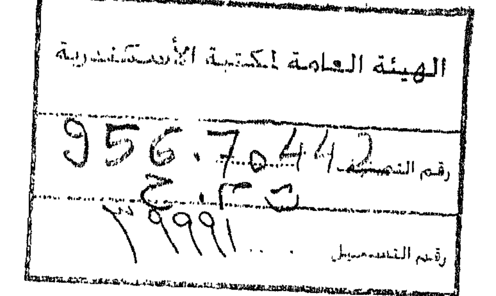


حرب الخليج
بين الأسباب والنتائج

محمد تيسير التميمي

١٩٩٣م







الإهداء

إلى . . .

شيخ بني هاشم . . . شريف العرب الذي نذر نفسه من أجل أمته . ونذر شبابه من أجل شعبه ونذر حياته من أجل كل العرب. جلالة الملك الحسين المفدى .

المؤلف

مقدمة

لم تكن حالة الانقسام العربي والإسلامي غريبة على جيل القرن العشرين، على امتداد سنواته المتصلة بحقبٍ قريبة إليه؛ قدّمت له صوراً رائعة من جمال حالة اللحمة وروعة حالة الاتحاد، اللتين كان يظهر بهما على العالم الغربي والشرقي، بحقائق القوّة والعزة والعدل التي لا زال يفاخر بها على مدى الأجيال المتصلة، محاولاً؛ إضفاء صورة وشمٍ مزركش على حقيقة الحاضر، وتقديم صورة متفائلة لنبوءات وآمال المستقبل.

كانت دولة عربية إسلامية واحدة ـ عاشها الجيل الذي سبق ـ مثالاً رائعاً للعدل، والسلطان، والقوة، المستوحاة من حقائق إحقاق الحق والعدل واحترام حقوق الغير... وحتى رأيه ومعتقداته.

كانت دولة يحترمها ويهابها كل السلاطين والامبراطوريات المجاورة لها والمتاخمة لحدودها... كانت دولة، لها «عزة» و «هيبة» و «عظيم شأن» تستمدها من واقع إسلامها، وما يترتب على ذلك الواقع من:

- مبادىء الإيمان بالله الواحد الأحد.
- وسائل الوصول إلى تحقيق المصالح لا تغضب وجه الحق.
- مطرقة الضمير، أمر لا يمكن مقارعته ولا حتى مقاومته.

وعاش المجتمع العربي ودولته الإسلامية على هذه الروحانيات الثلاثة حقباً من الزمن امتدت إلى أواسط العهد العثماني ، أو حتى قريباً من نهايته ، حيث جاء الشيخ الجليل جمال الدين الأفغاني إلى سُدة الحكم ، وقد تراءى له أن نفاذ قوة خفيّة ، مردها إلى حقيقة العداء اليهودي الإسلامي ، تحاول إحداث شَرخٍ في جسم الأمة والدولة الإسلامية . .

ولقد حاول هذا الشيخ بكل ما أوتي من قوة وإخلاص وعزيمة صادقة ، إلى أن يجعل هذه القوة لا تصل إلى تنفيذ أهدافها ومخططاتها في جسم الأمة . . . ولقد استطاع ، على الأقل مدى حياته .

ولما جاء حاكمها الآخر ، مصطفى أتاتورك ، كانت طبائع حب الشهوة والمال المستشرية في مكامن نفسه وفكره ، منفذاً مُيسّراً - لتلك القوة المتخفية وراء شعارات «الحرية والعدالة والمساواة» - إلى الانتقال بهذا الحاكم من حالة سلطة العدل والقانون إلى سلطان الجبروت والتخبط ؛ والتي - أي هذه النقلة - كانت بدورها تُسهّل أمر إحداث ذلك الشرخ المطلوب في جسد الأمة الواحدة ، في جسد الدولة الواحد ، في جسد السيادة الواحدة . . . حتى آل الأمر إلى ما آل إليه من حالة انقسام القومية الواحدة إلى قوميات عدة . . ثم إلى دول ودويلات عديدة . . . إلى درجة أن قبيلة منسيّة بين رمال الصحراء ولهيب الغوغاء ، صارت تنادي «بحقها» في تأسيس كيان مستقل ، وفي دولة مستقلة ، حتى عن أقرب القوميات إليها ! !

وهكذا ، صرنا مع بدايات القرن العشرين :

● تحكمنا صراعات الفتنة . ● وتسيطر علينا قوات أجنبية نلهث ونتهافت وراء التبعية لها . ● وترسم حدود تجزئتنا . . . أقلام السير بيرسي كوكس!!!

□

ومع التقاء عقد الثلاثينات مع عقد الأربعينات، بدت صورة مظلمة في الواقع العربي، هي حالة أخرى - بعد حالة الانقسام - يعتاد الشباب العربي على رؤيتها بين جوانح طموحه وتراكم أحزانه؛ ألا وهي حالة سيلان الدم العربي على أيدي عصابة كانت في عهد دولته الإسلامية، أشلاء متناثرة في خبايا الزمن وخلايا الأمم، تحاول اليوم جمع شتاتها على حساب انقسام دولته وتشرذم قوميته، وتفتت هويته . . . ونسيانٍ فظيع لمبادئه .

ولما جاءت معركة ١٩٤٨، والتي اعترفنا - للوهلة الأولى - أنها هزيمة، كانت الصورة التي اعتاد شباب ١٩٣٦ - ١٩٤٧م على رؤيتها قد تحولت إلى واقعٍ مؤلم، نحاول بجهدنا درء رؤيته أو إظهار حقيقته . . . فعدنا مرة أخرى إلى محاولة تجميل الواقع القبيح بوشمٍ مزركش . . . ويا ليته غير مفضوح:

● فأطلقنا على هزيمة ١٩٥٦ «عدواناً»!
● وعلى هزيمة ١٩٦٧ «نكسة»!
● وعلى هزيمة ١٩٧٣ . . «نصراً»!
● وعلى الهزيمة الكبرى ١٩٧٧ «صلحاً منفرداً»!

● وعلى هزيمة ١٩٨٢ «حرباً أهلية»!

والغريب في الأمر كله، أن ليس وراء ذلك كله إلّا سببين، ويعرفهما العرب جيداً:

الأول: حالة الانقسام التي صرنا نؤمن بواقعها وندافع عنه!

الثاني: الدعم الأمريكي البريطاني والفرنسي للجرثومة المستشرية في جسدنا المقسّم وسلطاننا المهشّم!

□

ومع مجيء عقد الستينات، بدأ الشباب العربي ينظر في المرآة التي تعكس له حقيقة واقعه، الأمر الذي حدا بهم إلى التفكير بأسلوب التنظيمات السرية، وحركات التحرر، ثم أحزاب تتحرك باتجاه العمل الذي بدا للوهلة الأولى أنه يسير في الاتجاه الصحيح.

فظهرت حركات تنادي بالوحدة، وتنظيمات تنادي بالعودة، وأحزاب تنادي بالتحرر. . . وأخرى تنادي بالقومية.

ولقد كان لالتقاء هذه الأصوات وتفاعلها دور كبير في إفراز حزب البعث في بلاد الرافدين، وحزب الأحرار في حوض النيل الأعلى.

ومع أن الحزب الأول انقسم على نفسه ـ مع أول انتصار له ـ إلى قوتين متناحرتين، إلّا أن الحزب الثاني والذي كان أكبر ما يبدو على صورته المناداة بالقومية؛ استطاع أن يخطو خطوات جيدة على الطريق الصحيح. . .

ومـا أن كحّل الموت عيني زعيمه الكبير جمال عبد الناصر، حتى برزت في قلب القالب العربي أربعة انقسامات أخرى، كل منها ينادي ويدّعي زعامة القومية العربية :

- حيث برزت قومية عربية في سوريا .
- وقومية عربية في ليبيا .
- وقومية عربية في السودان .
- وقومية عربية في العراق .

ولقـد كان الصـراع على زعامة القومية العربية بين الزعامة السورية والزعامة العراقية على أشده منذ عقد الثمانينات ، وفي العراء! كما كان الصراع على الزعامة نفسها بين الزعامة المصرية والزعامة العراقية على أعنف ما يكون . . . ولكن في الخفاء . حيث يرتكز الادّعاء العراقي على احتوائه لحضارات عربية عديدة في كنف بلاده ، في الوقت الذي ترتكز فيه النـزعـة المصـرية على تربعها على حضارة فرعونية غائرة عبر التاريخ ، ومتأصلة جذورها عبر قرون خلت .

ولما دنت سنوات العقد السابع من هذا القرن على الأُفول، بدت شمعات الثريا التي تشع بنورها القومي من قلب السماء العربي، كأنما تتساقط شمعة شمعة!!

حيث اختفت أنوار شمعة القومية العربية في مصر إثر الصلح الذي عقـدتـه منفـردةً مع إسـرائيل عام ١٩٧٧ ، كمـا اختفت معـالم الشمعة السودانية بكاملها إثر سقوط زعيمها النميري إثر الانقلاب الأبيض الذي

أطاح به على يد قائده العسكري سوار الذهب . .

وهكذا ، بدت «القوميات العربية الخمس» في مطلع العقد الثامن من هذا القرن كل منها منشغل بنفسه :

- فالقومية المصرية منشغلة بعزلتها .
- والقومية السودانية منشغلة بفقرها واضطرابها .
- والقومية الليبية منشغلة بتنشيط نفسها .
- والقومية السورية منشغلة بتوزانها وترقبها .
- والقومية العراقية منشغلة بما هو أثقل من كل ذلك ، ألا وهو حربها وبناء قوتها .

فلم يبد على السطح طوال تلك الحقبة ، أن أي من هذه «القوميات العربية» سيكون لها دور يحرّك المشاعر العربية تجاهها . . .

□

هكذا بدت هذه الحقبة الممتدة من بداية هذا القرن حتى مشارف نهايته . . . ظلام دامس لا يبرز منه غير علامات التخبط والمرارة ، وغوغاء مزعج لا يعلو على ضجيجه غير صراخات التيه والتلعثم والعدم ، ولهاث عجيب وراء نداء لا يبدو من ملامحه غير مساحات التبعيّة والانسلاخ والتشرذم . . .

وفي وسط هذه الظلمة الحالكة السواد ، التائهة الدرب ، الغائر قسم كبير منها في أوكار التبعية والانسلاخ . . . كان هناك بلدٌ ؛ صغير في

حجمه، عتيق في ماضيه، طموح في تطلعات أهله وشعبه، عريق النسب في ذات قيادته . . ينادي بصوت العقل والحق واليقين والإيمان؛ أن حيّ على الوحدة والقومية التي تجمع ولا تفرّق، تشد ولا تمزق، تُعضد ولا تفتق . . . وقد ثبت لكل الضاربين على آذانهم بلطمة الطين، العاصبين على عيونهم غشاوة المجون، الخالعين على أنفسهم رداء الشك والريبة والظنون، القابعين في أوغار الرضا والقنوع، بما تفرضه أو تلفظه إليه ما تعافه نفوس المستعمرين؛ إن هذا البلد، الصادق في كلمته، المخلص في نيّته، المقرض لا المغرض:

- هو البلد الذي كان نبراسه الذي يشعّ وسط الظلمة يجب أن يُتّبع .
- وهو البلد الذي كان نداؤه الذي يصدع وسط الغوغاء يجب أن يُسمع .
- وهو البلد الذي كانت ـ ولا زالت ـ عباءته القومية العربية الهاشمية،

عباءة عزٍّ ومجدٍ وصدقٍ وشرفٍ . . وملاذٍ لكل الفارين من وهج الصحراء الظمئه، ولهيب الحرائق المشتعلة، أو مطرقة الجوع والفقر الموجعة، وضمائر أهل الحكم المهترئة الصدئة . . . يجب أن تبقىٰ مظلة القوم العربي كله، ولا تُخلع .

□ □ □

ومع مجيء عام ١٩٨٨ وانتهاء الحرب العراقية الإيرانية، حيث برز على السطح كأنما هو من غير سابق إنذار:

ـ جيش عراقي يقال فيه أنه الرابع في العالم، وأكبر جيش في منطقة الشرق الأوسط بأكملها .

ـ دلائل وإشارات تبين العراق يتجه نحو العظمة في بناء قوته الاستراتيجية .
ـ نصر كاسح للعراق على الزحف الإيراني الرهيب .

حيث كانت هذه الإشارات الثلاثة كأنما هي النور الساطع الذي يتخطف الأبصار التائهة، وترقبه الأجيال الراقدة، يأخذ كل اهتمام الشارع العربي ودعاة القومية إلى بؤرة حقائقه، ويحولها عن كل تلك القوميات التي بدت وكأنها أقرب إلى حالة السكون أو الاندثار في العالم المجهول، يساعده في ذلك تلاقيه مع سليل الشعاع المتهافت من ذروة القومية التي أسلفنا الحديث ـ للتوِّ ـ عنها . . .

وهو أمر لم يَرُقْ للقومية ـ التي تعتبر نفسها ـ الأم على الإطلاق:
ـ فهي الدولة التي أسست قواعد القومية العربية .
ـ وهي التي رفعت بنيانها!
ـ وهي التي قاربت ـ لولا ظروف اعتبرتها فوق طاقتها ـ من تشييد عمرانها!

فكيف يكون التمتع بالجلوس على عرشها إلى غير سلطانها؟!

والغريب في الأمر كله؛ أن كل ذلك يجري بصمتٍ رهيب، وأن كل قومٍ بما لديهم لاهون!!

□

ولما حضرت الوفاة العام ١٩٨٩ كان الصراع بين القومية المصرية والقومية العراقية ـ رغم محاولة كل منهما إخفاء أي دلائل على ذلك ـ قد بلغ ذروته. وكان العالم العربي بأسره غارقاً في التيه!

ـ فدول الغنى البترولية غارقة في الرقص على أكوام ذهبية ليست في يدها .
ـ ودول الفقر العربي غارقة في التذمر من حالات التدهور الرهيب لاقتصادها وتراكم ديونها .

وبدأت تلوح في الأفق صورة جديدة، مؤدّاها؛ أن دول الغنى تنظر إلى دول الفقر على أنها تريد نهب خيراتها وعدم تركها تستمتع بكامل مالها. وأن دول الفقر تنظر إلى دول الغنى على أنها تُضيّع ثرواتها وتنسى إخوانها، ولا تلتزم بأي حق من الحقوق الواجبة عليها، ولا حتى تعهداتها والتزاماتها .

والغريب في الأمر كله، أن كل قوم بادعائهم واثقون، وعمّا يجري حولهم غافلون :

- فدول النفط تلعب!
- ودول الفقر تتخبط!
- ودول الاستعمار ـ وهو الأمر الأكثر خفاءً ودهاءً ـ تترقب!

وما إن دخلت سنة ١٩٩٠ إلى سجل التاريخ، حتى بدت كل هذه التفاعلات كأنما تشكل بمجموعها تراكيب قنبلة بدأ الاشتعال في فتيلها منذ مطلع الشهر الثالث من العام نفسه .

وسرعان ما بدت تلوح في أفق العالم بأسره ما يُشير إلى أزمة . . . وما إن أفل نجم الشهر السابع من تلك السنة حتى :
ـ وضعت الأنثى حملها؛ وكانت العملية قيصرية بكل تعقيداتها .
ـ وانفجرت القنبلة قبل أوانها؛ وكان الصوت الناتج عنها مدوياً في كل

الآفاق، والأثر الناجم عنها مؤلماً بكل الحقائق، قاسياً بكل التفاصيل.

والغريب ـ الذي وصل إلى حد المصيبة ـ هذه المرة أن كل قومٍ بما حدث لهم... عالمون!!!

هذه الحقائق برمّتها، كانت قد التقت ـ من غير ما تعلم أو تعلم ـ التقاءً عجيباً بمتطلبات السياسة الخارجية الأمريكية، ومراسيم احتفالٍ بالحلم الصهيوني المؤمّل تحقيقه قبل عام ٢٠٠٠. فكلاهما يتطلب حالة الانقسام العربي واندثار الحضارة الإسلامية، كي يبقىٰ المتربعون على عرش النظام العالمي يشربون من خيرات هذا الوطن المقسّم ودون أدنى عناء أو بذل مزيد من الكلفة، وبالطرف الثاني كي تستطيع الصهيونية العالمية أن تسير بخطواتها إلى حيث تريد دون أدنى تعكير لصفاء ذهنها، وهي تعلم علم اليقين أنها لا تستطيع أن تسير قُدُماً إلّا على أشلاء الحضارة الإسلامية!

هذا، مع العلم أن هذا الالتقاء الرهيب بين تلك الحقائق وهذه المتطلبات (أو المصالح) لم يكن يُشكّل أكثر من دور المساعد للدوافع الحقيقية التي كانت تُحاك في الظلام كي تدفع بالطرف العراقي إلى حرب لم يردها. وتصل بالطرف الامبريالي الصهيوني إلى تحقيق أهدافه... وتكون بالتالي حرب الخليج الثانية ـ وبكل صورتها الإجرامية ـ حرباً شرعية!!!

هذه الحرب التي لا يمكن لي إلّا أن أقول فيها، إنها:

- حرف المصلحة في أهدافها.

- وحرب الهمجيّة في أسلوبها .
- وحرب التضليل في إعلامها .

كما هو الحال في إمكانية القول إنها :

- حرب القادة . . . بكل نزعاتها .

المؤلف

٩٢/٥/٢٨

الفصل الأول

١ . الماضي القريب
٢ . هكذا . . .
٣ . ما الذي حدث

(١)
الماضي القريب

في عام ١٩٨٨م انتهت حرب طاحنة استمرت لما ينيف عن الثماني سنوات، بين أعرق حضارتين، وأشرس دولتين، استغلت فيهما هاتان الصفتان لتنفيذ خطط الامبرياليين وعمالقة ماسون، للقضاء على ثورة إيرانية عارمة قبل تفعّل انطلاقتها، وعلى دولة عربية كان يُخشى أن تبزغ منها حضارة جديدة قد تصل ذات يوم ـ بعد سبات العرب الطويل ـ فترى النور.

وفي هذا العام ـ ١٩٨٨ ـ انتهت الحرب على نصف ما كان يأمل المخططون؛ إخماد العنفوان الذي كان يتأجّج في صفوف الثورة الإيرانية، مقابل ثمن يراه المخططون أنه أغلى مما تم تحقيقه من تلك الحرب لهم، وهو قيام ثورة فكرية جادة في العراق، تنظر إلى تحقيق طموحات الشارع العربي من أقصى غربه إلى أدنى شرقه.

ولقد صحوا من حلمهم على هذا الحال..

وبينما كان العراق يتأجج فرحاً بالنصر الذي حققه على إيران.. بدأ «المخططون» مرة أخرى ومن جديد يرسمون لإكمال النصف الآخر من «الحلم» الذي لم تحققه تلك الحرب.

ولما بحثوا السبب الذي أوصل العراق إلى ما وصل إليه من تقدمٍ علمي



الحرب العراقية الإيرانية لم يُقصد منها إلا تدمير قوتين بآن واحد

وصناعي وحربي وتقني. . وجدوا الأمر عائد إلى سببين:

الأول: قيادة عراقية جادّة طموحة، لا تخشى النهوض، وتدعم ـ بكل طاقاتها ـ وتسخّر كل إمكانيات الدولة إلى ما يمكن أن يحقق إليها ما تسعى إليه. . وهو العظمة.

والثاني: دعم عربي وعالمي[1] هائل يقف وراء السبب الأول من غير خشية، يحدوه الأمل ـ في القضاء على الدولتين ـ من غير تخوّف[2]!

وهنا بدأ بنو صهيون ـ المخطط الأكبر ـ وحليفتهم الأولىٰ بريطانيا، وحليفتهم الكبرى أمريكا، بوضع اليد على مكمن الألم الذي أصبح يؤرقهم. . حيث بدأوا يُظهرون العراق على أنه يحاول تطوير أسلحة تشكل «خطراً» على السلام العالمي، وبالوقت نفسه يُظهرون قائد العراق على أنه «ديكتاتور وحشي»!

وعند هذه المسألة بالذات، فإن التاريخ يُلزمنا أن نطرح هذه التساؤلات:

- من الذي كان يمدّ العراق بالأسلحة المتطورة طيلة ثماني سنوات الحرب؟!
- من الذي كان يمدّ إيران ـ خفيةً[3] ـ وانكشف أمره ـ بالأسلحة أيضاً طيلة سنوات الحرب؟!
- ثم من أين جاءت إلى العراق كل هذه المفاعلات؟! هل صنعها بنفسه أم

---

(١) الدعم العربي مادي، والعالمي تقني حربي.

(٢) ولقد كان كل ذلك «التهور» في دعم العراق ذو الـ ١٨ مليون نسمة من قبل الدول الغربية، من أجل القضاء على الثورة الإيرانية ذات الخمسين مليون نسمة قبل قيامها أو انتصابها، والتي كانت ـ أي هذه الثورة ـ تسعى إلى السيطرة على منابع النفط، أو خلق سبيل للسيطرة عليه، أو التحكم في إنتاجه، بالإضافة إلى رغبتها في تحرير الشرق الأوسط من الوجود اليهودي المعادي للإسلام.

(٣) وكلنا يعرف قصة «إيران غيت» ولا داعي لشرح تفاصيلها وأبطالها.

استوردها استيراداً؟

○ من الذي أرسل إلى العراق ثمانية عشر عالماً نووياً وكيميائياً كي يطور صناعاته إلى هذا الحدّ الذي أصبح الآن مخيفاً كما يزعمون؟!

والسؤال الأكبر، الذي يجب أن يعيه كل العرب والمحبين للسلام: من الذي أشعل فتنة الحرب بين العراق وإيران باالرغم أن مشكلة الحدود[1] بينهما قائمة منذ القرن السابع عشر الميلادي؟!!

---

(١) مع العلم أن مشكلة الحدود كان يسعى الطرفان لحلها بالمفاوضات، ومنذ عام ١٦٣٩م وقعت أول معاهدة بهذا الشأن، تلتها عدة معاهدات، كمعاهدة أرضروم الأولى والثانية عام ١٨٢٣، ١٨٤٧، ومعاهدة الحدود سنة ١٩٣٧، ومعاهدة الجزائر سنة ١٩٧٥.

(٢)
هكذا . . .

. . . وبعد ما يزيد عن العام من توقف القتال بين العراق وإيران، بدأت تلوح في أفق الخليج ما يشير إلى أزمة. . أزمة من نوع حاد! حيث بدأت المليارات المستحقة على العراق إلى الكويت بالظهور[1]! كما بدأت تظهر مشكلة النفط المسروق من الأراضي العراقية لحساب إمارة الكويت طيلة سنوات الحرب.

. . وهكذا. . بدأت وصارت المشكلة أعظم من أن يحلّها حكيم. . سوى الحرب!! حيث بدأت القوات العراقية بالتحشد على حدود الأمارة الكويتية. والخليج يعقد صفقات رخيصة مع أمريكا ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية لحماية حكامه من «خطر صدام».

ورغم أن مدة الحشود العراقية على حدود الكويت استمرت وقتاً ومدةً تزيد عن العشرين يوماً؛ إلاّ أن الولايات المتحدة ـ رغم أقمارها وعملائها في الكويت وداخل العراق ـ لم تُبدِ أي اهتمام، أو ردّة فعل!!! ولم تكتفِ بذلك، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك كله «إنها لم تكن تتوقع هجوم القوات العراقية على الكويت»[2]!!

---

(١) وكأنه لم يُدن العراق إلاّ الكويت، فلم تدعمها السعودية ولا الإمارات ودول الخليج قاطبة، ومصر والأردن واليمن؟!

(٢) مقتطف من بيان وزارة الخارجية الأمريكية بعد يوم الاجتياح الغربي أذيع في مؤتمر صحفي على لسان المتحدثة باسم الوزارة مارغريت تتوايلر.

وكأن «ابريل جلاسبي» سفيرة الولايات المتحدة في العراق لم تكن هي التي اطمأنت على أن فتيل الحرب قد أُشعل قبل أن تذهب إلى بلادها في «إجازة سنوية»[1]، وأن دخول القوات العراقية إلى الكويت أصبح أمراً محققاً.

. . وهكذا . .

كان الثاني من آب ١٩٩٠ مفاجأة للجميع، وبدأ الكل ساخطاً ومستنكراً . . إلاّ كوبا!

ثم توالت جلسات مجلس الأمن «الحامية الوطيس» وقراراته التي لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، ولا حتى عام ١٩٤٥ عندما أُلقيت قنابل الدمار الشامل على الشعوب المحبة للسلام في اليابان!

. . وهكذا . .

كان القرار الأخطر في تاريخ الأمم المتحدة «استخدام القوة من أجل إخراج القوات العراقية من الكويت» أمر سهل في أروقة الأمم المتحدة، وعلى أعضاء مجلس الأمن اتخاذه وتخويل الولايات المتحدة على رأس من ينفّذ هذه المهمة!

. . وهكذا . .

كانت الحرب البربرية، الحرب الطاحنة، الحرب التي أتت على حضارة العراق، وأطفال العراق، وشيوخ العراق، وثروات العراق . . . من أجل الحرية والعدالة والإنسانية!!

«لن أقرأ التاريخ بعد اليوم . .

---

(١) ربما كان توقيت هذه الإجازة «المصطنعة» هي إحدى خيوط الوهم الذي تبعه العراق واعتقد من خلاله أن أمريكا لن تتدخل في حل الأزمة عسكرياً.

إن أصابعي اشتعلت. . أثوابي تغطيها الدماء. .
ها نحن ندخل في التوحش، والتخلف، والبشاعة، والوضاعة. .
نرجع كل يومٍ ألف عامٍ للوراء. . .»

صَدَق نزار.

كأن التاريخ لم يشهد على الولايات المتحدة بغزو غرينادا، وقتل الفيتناميين، وحرق شعوب ناجازاكي وهيروشيما. .

كأن التاريخ لم يشهد على بريطانيا باحتلال فلسطين وإعطائها إلى عصابة همجية دون سابق حق أو حياء وجه. .

كأن التاريخ لم يشهد على فرنسا بقتل مليون جزائري، لأنهم طالبوا بحقهم في العيش في وطنهم بأمان واستقلال. .

كلا. .

لم يشهد التاريخ إلّا على حادثتين هما:

○ حرق الألمان لجماعات يهودية بُعيد الحرب العالمية، وتهديد الرئيس العراقي صدام حسين بحرق ثلثي الشعب اليهودي في فلسطين المحتلة!!

(٣)
ما الذي حدث؟

والآن.. يأتي السؤال الذي يبدو كأنه أجوف أصمّ:

«ما الذي حدث؟»

هل كان دخول القوات العراقية إلى الكويت هو السبب وراء هذه الحرب البربرية؟ أم أن كل ما حدث أمر خطط له ودُبّر في غياهب المكاتب «البيضاوية» أو «الحمراء» و«الدائرية» و«المربعة» وغيرها؟

وهل أمريكا وبريطانيا معنية ـ إلى هذا الحد ـ بإقامة السلام والعدل في الشرق الأوسط، وحل مشاكل العرب بهذا العنفوان الرخيم؟! أم هو النهوض الذي حصل في العراق، وصحوة الحارس ـ على فجوة الظلمة أن لا ترى النور ـ كانت متأخرة، هما اللذان هيّجا كل هذا السخط في تلك الدول المتآمرة؟

هل صدام حسين رئيس العراق فعلاً «ديكتاتور متوحش» كما يسميه بوش؟ أم أنه عثرة في طريق النظام العالمي الجديد؛ الذي خُطط لأن يحكمه اثنان من عمالقة بني صهيون هما: ديفيد روكفيلر وهنري كيسنجر، ويدعمه ـ بكل قوة وخنوع ـ اثنان من أقوى زعماء العالم قوة ودعماً للصهيونية العالمية هما: جورج بوش وميخائيل غورباتشوف؟!

ثم، كيف بدأت الحرب؟ وهل ساعد الرئيس العراقي صدام حسين على بدايتها

بهذه الصورة المروّعة؟ وما هو دور القرارات التي اتخذها العراق بهذا الصدد؟

وأخيراً، كيف انتهت هذه الحرب؟ وما هي الأهداف التي تحققت بعدها؟ وهل كان للعراق دور في إنهائها بهذه الصورة المروعة أيضاً؟

الفصل الثاني

١ . الحقائق الغائبة

٢ . القرارات المخطوئة والقرارات المقصودة

٣ . الواقع العربي

٤ . الاقتصاد الأمريكي

(١)
الحقائق الغائبة

(١)

لقد جاء المستعمرون مع نهايات القرن الثامن عشر الميلادي إلى بلاد الشرق الأوسط، لاحتلال أرض الشعوب الفقيرة أو الضعيفة بحجة نشر «العدالة» و«التقدم» و«النماء»[١] بهذه البلدان، ولم يخرجوا منها إلّا بأسلوب القوة والمقاومة الحرّة، والنضال الملثم بالدماء. . .

ولكنها ـ أي تلك الدول المستعمِرة ـ رغم كل ذلك، لا تزال تطمع في السيطرة على هذه البلدان عن طريق الإبقاء على فقر شعوبها واستدامة جهل أهلها، وتخلف حضاراتهم، وقتل النماء فيها قبل أن يرى النور.

ولهذا فقد صُنعت هيئة الأمم المتحدة، لتكون الغطاء «الشرعي» على كل نهبٍ أو دمارٍ أو قتلٍ للشعوب الضعيفة بنمائها وجيوشها، الغنية بمالها وبترولها.

ثم صُنعت منظمة أوبك لإضفاء الشرعية ذاتها على الأساليب المشينة نفسها في نهب خيرات تلك البلدان.

(١) هذه مصطلحات مصطنعة تبناها المستعمرون في دعايتهم لأغراض الاستعمار الذي ثبت أنهم لم يأتوا على هذه البلدان إلّا بعكسه تماماً.

ولما جاء القرن العشرون، بدأ التفتح الذهني في الشارع الشعبي لبلدان الشرق الأوسط أكثر وضوحاً ورفضاً لأشكال الاستعمار.

وهنا، كان لا بدّ على المستعمرين من أن يبحثوا عن البديل لأسلوب الاستعمار القديم المتمثل في السيطرة على خيرات الأرض عن طريق احتلالها وقهر أهلها. وكان الأسلوب الجديد يتمثل في السيطرة على قيادات الشعوب في تلك البلدان للتحكم في كل مواردها وقراراتها وأفكارها، وهو أسلوب الـ «ريموت كنترول» أي السيطرة عن بُعد.

ولما نجحت الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، كان أول قراراتها الخروج على طاعة السيد الأمريكي، واحتلال سفارته التي كانت تبلغ مساحتها ٦٠ هكتاراً. وهذا يعني أن نظام «السيطرة عن بُعد» قد تعطّل في هذه المنطقة، وبالتالي، فإن حجم ثرواتها الهائلة ربما قد تُستغل لغايات الأهداف الثورية. إذن، لا بدّ من قرار يُعطّل تفعيل هذه الأهداف وهدم طاقات هذه المنطقة وتبديد ثرواتها بما يُسهم في إضعاف هذه الثورة وإخماد حماسها، وأخذها إلى ما لا ينفع الناس.

... وكان القرار، إشراك هذه الدولة أو إدخالها في حرب «تستنزف كل طاقاتها وقدراتها دون أي طائل أو الحصول على أي مفيد».

□

ولم يكن اختيار العراق ليكون الطرف الآخر أو المقابل لإيران في هذه الحرب إلّا غلطة فظيعة، لم يدرك المخططون هولها إلّا بعد ثماني سنوات من الدعم المتواصل الهائل لوضع كل موفورات الحطب في النار المشتعلة، حيث فاجأتهم الحرب تلك ـ التي لم يقصدوا منها سوى رمي عصفورين بحجر واحد ـ بإفراز قوة عربية متطورةتتجه نحو العظمة، وتستغل كل طاقاتها وثرواتها والدعم الذي يأتيها، إلى ما هو لصالح نمائها وتطورها.

وهنـا كانت صحـوة الحـارس على بقعة الظلام وهي تتسلل تُوشك أن تُدرك النور. حيث كانت أعين الحراس من رجالات الـ «CIA» وغيرهم منشغلة بما يحدث على الحـدود بين الجيوش المتصارعة، وتقرير مستوى الهلاك لأيٍّ من الطرفين، والتي ـ أي عيون المخابرات الاستعمارية ـ لم يخطر ببالها طوال سنين الحرب أن تُلفت أنظارها إلى ما يصنع العراقيون في قلب صحراء بلادهم، وقلب مدنهم..

حتى قام العراق بعمل معرض للصناعات العسكرية والصاروخية خلال ترتيبات بناء هيكل مجلس التعاون العربي الذي ولد ميتاً بعد تلك اللحظات من عرض القوة المبتدئة[1].

□

ولما أفاق المتآمرون على هذا الكم الهائل من الأسلحة والصواريخ والمصانع الحربية، والمفاعلات النووية، أدركوا أن خوفهم من زحف الثورة الإسلامية في إيران إلى قاعدةٍ أوسع قد تشكل خطراً عليهم، هو الذي دفعهم وأعمى أبصارهم وجعلهم يُقدمون كل تلك التسهيلات للعراق للحصول على ما حصل عليه من عتاد وذخائر وأسلحة دمار شامل، وتقنيات وخبراء، طبعاً ليس حباً في العراق ورغبةً في تطويره، بل لظنهم أن العراق سيحتاجها كلها للقضاء على هذه الثورة البالغ عدد أعضائها ما يزيد عن الأربعين مليون نسمة.

وهنا كان القرار التاريخي ـ بعد ثماني سنوات من الحرب ـ من قبل هيئة الأمم المتحدة بضرورة وقف الحرب العراقية الإيرانية، ويحمل الرقم ٥٩٨!!

لماذا لم يُتخذ هذا القرار من قبل إذا كان المقصود هو وقف الحرب بين جارتين وعضوين في هيئة الأمم المتحدة؟؟ وهل كان وقف الحرب بين العراق وإيران يحتاج

---

(١) سيتم عرض هذا الأمر بشيء من التفصيل لاحقاً.

إلى قرار من هيئة الأمم المتحدة، مع علمنا جميعاً ـ جاهلنا وعالمنا ـ أن وقف القتال لا يحتاج إلّا إلى قرار من الدول المزودة لكلا الطرفين بالسلاح[1] بوقف هذا التزويد، وهو قرار يُجبر بالضرورة وقف الحرب بصورة أمثل من أي قرارٍ آخر؟

لقد كانت إيران تعتمد في إدامة جيوشها وترسانتها على كوريا والصين، والولايات المتحدة «خفيةً»، وكان العراق يعتمد في الأمر نفسه على كل من روسيا وألمانيا وبريطانيا وأمريكا وفرنسا . . . وهم جميعاً يُشكلون القدرة الكلية على إصدار القرارين «قرار الأمم المتحدة (البرواز) وقرار إمدادات السلاح (الجوهر)» . . . فلماذا كل هذه الألاعيب؟؟

لا يحدوني شك في أن القرار الأخير هو الذي أوقف الحرب العراقية الإيرانية، ليتسنّى للولايات المتحدة وبريطانيا والصهيونية العالمية التفكير ملياً ومن غير انزعاج بما يجب عمله مع العراق الذي ظهر فجأة إليهم، أو هكذا بدا على الأقل.

يقول «روجرز»: إن الشعب الأمريكي لا يعرف إلا ما تكتبه الصحف الأمريكية. وهي صحف وإعلام صهيوني، يغطي ما هو لمصلحة هذه العصابة المستشرية في جسد الأمة والعالم كله، ولديه المقدرة على إغفال الشعب الأمريكي، وربما العالم بأكمله، عن أكبر حدث يحدث في العالم[2]!

(١) وهي أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا والصين وكوريا.

(٢) لاحظْ أخي القاريء كيف الصحافة الأمريكية أغفلت الشعب الأمريكي ـ وحتى وكالات الأنباء العالمية ـ عند انعقاد مؤتمر السلام في مدريد، رغم أنها أجهدت حكومتها وأجهزتها من أجل انعقاده مدة تقارب ٩ أشهر، وأرسلت وزير خارجيتها في ثماني رحلات وجولات بلغت المسافة ـ مسافة السفر ـ فيها أبعد من مسافة السفر إلى القمر ثلاث مرات. واتجهت بالعالم كله إلى حالة إطلاق سراح الرهينة البريطاني من لبنان!! وكيف الصحافة الأمريكية أغفلت عن الشعب الأمريكي غياب الوفد الإسرائيلي وتأخره عن الحضور في الموعد المحدد لمحادثات السلام الثلاثية في واشنطن لمدة أسبوع كامل دون أن تشير إلى هذه الحادثة بشيء من الذكر أو التعليق!!

إن الذين يقولون إن الإمم المتحدة قد أسهمت إسهاماً فعّالاً في إيقاف الحرب العراقية الإيرانية بقرارها التاريخي ٥٩٨، لا بد لنا أن نقول لهم إن هذه القناعة هي قناعة الجهلاء؛ ذلك لأن الهيئة التي أصدرت اثني عشر قراراً من أخطر قراراتها في التاريخ، وفي ظرف لا يزيد عن الشهر من أجل «تأديب» رئيس دولة، كان بإمكانها إصدار قرار بإيقاف حرب العراق ـ إيران من الأشهر الأولى لبدئها، أو السنة الأولى، أو السنوات الأولى على الأقل.. ولكن بعد ثماني سنوات!؟

لماذا كل هذا التأني؟!

يقول خبراء القانون «عندما يصبح المجرم محترفاً في تنفيذ جرائمه، عندهايسهل على المحققين الدخول في غياهب وسراديب التكهنات التي لا تؤدي كلها إلى توقع واحد على الأقل بأن هذا الجاني هو الذي خطط إلى هذه الجريمة ونفذها».

وهذا هو الحال بالنسبة «لأصدقائنا» في الغرب.. إنهم محترفو جريمة.. ولا شك.

□

إن الرئيس العراقي صدام حسين، وبالرغم من كل الانتصار الذي حققه في حربه مع إيران، وبالرغم من كل المكاسب التي جناها أو حصل عليها تحت ستار هذه الحرب، وبالرغم من كل الإنجازات العلمية والتقنية والعسكرية التي حققها من خلال هذه الحرب... إلّا أن الحقيقة الواضحة التي لا يجب ولا يجوز تغييبها عن نفسية صدام حسين ـ كشخص وكقائد وكزعيم دولة ـ هي أنه خرج من حرب الثماني سنوات لتوّه... ومهما كانت السيكولوجية لأي فارس ينفض غبار المعركة عن جسده، لا يمكن أن يكون بعد كل ذلك يفكّر في حرب جديدة، ومهما كانت سهلة، ومكاسبها عظيمة. زد على ذلك أن ثماني سنوات من الحرب هدّت الاقتصاد

العراقي، وأرهقت نفوس المقاتلين، وهي حرب لم تكن ولا كانت ليوم أو يومين أو ثلاثة . . . إنها أفرزت جيل كامل قبل أن تنتهي . . . ولا بدّ لأي قائد ومهما كانت عقليته ـ التي نعتقدها أنها موجودة فيه ـ وأن يضع أول الأولويات بعد ذلك لإراحة جنده ومحاربيه على الأقل . . . فكيف برئيس دولة؟! ألا يفكر بإنعاش اقتصاده وإعادة بناء ما دمرته الحرب، وإعادة بناء الهيكل العام لدولته؟!

أعتقد أنه كان واضحاً لكل عقلاء العالم أنه لم يرد في تفكير العراقيين كلهم ـ من أدناهم إلى رأس الهرم فيهم ـ الدخول في حرب جديدة بعد أقل من عامين . .

إن هذا كان واضحاً وجلياً لكل عاقل في العالم . . .

ولكن، يا تُرى، ما الذي حدث فعلاً؟

(٢)

في عام ١٨٩٧م عقد زعماء بني صهيون مؤتمرهم التاريخي في مدينة بال بسويسرا حيث اتفقوا من خلال هذا المؤتمر على ما سُمي بـ «بروتوكولات حكماء صهيون»[1] والتي من خلالها وضعوا الأسس والمبادىء التي يجب أن يسير عليها قادة وحكام بني يهود حتى يتسنىٰ لهم الوصول إلى حكم العالم قبل عام ٢٠٠٠م.

ولقد كان هؤلاء الصهاينة ينظرون منذ البداية إلى منطقة غرب نهر الأردن كنواة لتأسيس وطنهم، كون تلك المنطقة ـ فلسطين الكنعانية ـ لها صِلات بالنواحي الروحية لدين الشعب اليهودي. ولقد تحقق لهم هذا الأمر بُعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى على يد الزعامة البريطانية التي تبنت لهم «شرعية» إصدار «وعد» يسمح لهم بإنشاء وطن قومي في فلسطين، وكان هذا القرار سنة ١٩١٧م، وهو العام الذي بدأ يتسرب فيه للعالم أمر تلك البروتوكولات والخطط الجهنمية ـ التي كانت

---

(١) وهي ٢٤ بروتوكول.

على درجة عالية من السرية ـ والتي لا تبالي بأدنى درجات الانحطاط في النهج والأسلوب وطرق العمل والمبادىء التي من شأنها تحقيق أهداف هذه العصابة إلى حكم العالم بأسره[1].

ورغم أن هذا الوعد ـ وعد بلفور ـ كان بمثابة حجر الأساس في إرساء قواعد الدولة اليهودية، إلاّ أن اليهود لم تأخذهم القناعة في ذلك، فعمدوا إلى تطبيق مبادئهم المرسومة في نص البروتوكول السابع والتي تنص على إشعال فتنة حرب عالمية جديدة من شأنها إغراق الدول المتصارعة في مديونيات مرهقة تجعل تلك الدول ـ وأهمها الدول الكبرى ـ حبيسة قرارات الدائنين من عملاء بني صهيون.

وفعلاً، اشتعلت الحرب، وكانت صراعاً مريراً بين أكبر دول العالم وأعظمها قوة

---

(١) فمثلاً، تجد أن هذه العصابة من زعماء بني صهيون قد تبنوا مبدأ «الحرب الاقتصادية» التي من شأنها أن تورث الكوارث المادية والاقتصادية، وتورث الفقر والمجاعات، بالإضافة إلى المديونية العالية التي ترهق كاهل الدولة وتجعلها أسيرة آراء وأفكار ومطالبات الجهة الدائنة، والتي لا شك سوف تكون ذات مصدر يهودي. فانظر ماذا يقولون في بروتوكولهم الثاني «إن غرضنا الذي نسعى إليه، يُحتم أن تنتهي الحروب **بلا تغيير حدود ولا توسع إقليمي**... فإذا جرى الأمر على هذا قدر المستطاع تحولت الحرب إلى صعيد اقتصادي، وهنا لا مفرّ أن تدرك الأمم ـ من خلال ما نقدم من مساعدات ـ **ما لنا من قوة التغليب**، تغليب فريق على الآخر.. الأمر الذي يجعل الفريقين تحت رحمة عملائنا الدوليين.. وحينئذ تقوى حقوقنا الدولية العامة على محق الحقوق القومية الخاصة... فيتسنى لنا أن نحكم الشعوب بهذه الحقوق تماماً كما تحكم الدول رعاياها بالقانون المدني وداخل حدودها»!؟

وفي البروتوكول السابع نجدهم يقولون «... وعلينا أن نكون في وضع يمكننا من تناول أي عمل من أعمال المعارضة، وذلك بإبقاء الحرب بين البلاد المعارضة لنا وجاراتها. وفي حال قيام كل تلك الدول في وجهنا يداً واحدة، فحينئذ لا سبيل إلاّ أن نستوقد حرباً عالمية كاسحة» راجع التفاصيل في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ـ عجاج نويهض ـ ص ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٣٠، ٢٣١.

ونفوذاً وتسليحاً. . واستمرت لما يزيد عن الأربع سنوات من الدمار والتقتيل، ونهب الثروات، وما إلى ذلك من أسباب الضياع في دهاليز لا يعلم سرّها إلاّ الذين حددوا معالمها من بني صهيون وعمالقة ماسون.

وفي عام ١٩٤٢م، وضعت الحرب أوزارها، وكان من أهم ما أفرزته هذه الحرب اتجاهين:

الأول: أن بلدان الشرق الأوسط ـ وأهمها دول العرب النفطية ـ قد وصلت إلى قناعات من شأنها تبنّي سياسات تدعو إلى نبذ الاستعمار وكل أشكال الهيمنة الخارجية، أو أي شكل للتواجد العسكري للدول العظمى على أراضيها.

الثاني: سباق التسلح بين أعظم دولتين في العالم وهما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، والذي كان ـ أي هذا السباق ـ يشكل أعظم وأعقد حرب عرفها التاريخ، ألا وهي الحرب الباردة، كما اتفق المؤرخون والسياسيون على تسميتها.

ولقد كان من أُولى متطلبات هذه الحرب هو الإبقاء على السيطرة على منابع النفط في الشرق الأوسط من أجل ضمان الدعم المالي اللازم لاستمرارية سباق التسلح الذي بلغ به الأمر إلى صواريخ استراتيجية بعيدة المدى[1] تشكل أكبر خطر على الدول المتنافسة وغير المتنافسة، الأمر الذي أدى إلى متطلب آخر مهم في هذا الصراع، وهو إنشاء قواعد عسكرية ضخمة ودويلات أحلاف في مناطق متقدمة باتجاه الدولة العدو. . فقامت روسيا بإنشاء قواعدها بأوروبا الشرقية مما مكنها من إحكام السد الناري المنيع أمام الولايات المتحدة، بالإضافة إلى وقوعها ـ بحكم موقعها ـ على عتبات الشرق الأوسط، أهم مصدر للمخزون النفطي. وفعلت

(١) بالإضافة إلى صواريخ عابرة للقارات، وأقمار صناعية للتجسس وأخرى للعلم والاكتشافات، وأجهزة معقدة للتنصت. . وغير ذلك كثير.

الـولايات المتحـدة الأمـر نفسـه، فأسست قواعـدها في أوروبا الغربية، وعقدت اتفـاقيات التحـالف المعروفة. . . إلّا أنها أرادت أن تحقق بعض السبق في هذا المجال، فعمدت إلى محاولة عقد اتفاقات مع دول الشرق الأوسط لإنشاء قواعد عسكرية لها في مكان قريب من جنوب الاتحاد السوفياتي يحقق لها مكاسب كثيرة، وأهمها عنصر المفاجأة. . لكن هذه المحاولة اصطدمت بالاتجاه الأول ـ المبني على رفض العرب لأشكال الاستعمار[1] ـ فكان لا بد للولايات المتحدة من النظر إلى الجانب اليهودي وتعزيز فكرة «الوطن القومي» لهم في فلسطين وتطوير هذه «الفكرة» إلى حد إنشاء دولة مستقلة ذات سيادة ومعترف بها من قبل هيئة عالمية، كهيئة الأمم المتحدة. . . طبعاً مقابل الحصول على قاعدة عسكرية لصواريخ استراتيجية ـ غير مفضوح أمرها ـ وتكون قريبة من جنوب الاتحاد السوفياتي.

ولكن اليهود لم يكونوا كبقية الشعوب في أوروبا الشرقية والغربية، ولا حتى بقية العالم في ذكائهم ومكرهم. . فلقد كانوا على درجة من الذكاء مكنتهم من إتقان الـرقص على أنغام هذه اللعبة، بحيث استطاعوا أن يبرموا أعظم الاتفاقيات التي مكنتهم من أن يكونوا أقوى حلفاء الولايات المتحدة، بحيث كانت أمريكا تتعامل معهم كما تتعامل الأم مع «طفلها المدلل».

ولما كانت طبيعة الطفل المدلل ـ وأهم ما يميزه عن غيره من الخلائق ـ أنه كثير الصراخ ومن أي شائكة تشكّه، أو أي أمر يعكّر صفاء خلوته وتمتعه بالأشياء، فإن إسرائيل ـ التي أقرّت شرعية قيامها بعد أقل من عامين من انتهاء الحرب العالمية الثانية وابتداء الحرب الباردة ـ عمدت إلى العزف على هذا الوتر الحساس!!

□

(١) رغم أن زعماء العرب وافقوا فيما بعد على هذا المطلب وتم إنشاء قواعد عسكرية بريطانية وأمريكية بشكل سري في بلدانهم الأمر الذي كان له دوره في حرب الخليج.



ومن ناحية فسيولوجية، فإن علماء النفس يؤكدون هذه الحقيقة ـ حقيقة أن الطفل المدلل كثير الصراخ ـ وبالمقابل فإن الأب أو الأم المدلِّلة لا تحب أن ترى طفلها المدلل يصرخ، وبالتالي فإنها لا تتوانى في إزالة الأسباب أو تحطيمها إن دعت الضرورة، والتي من شأنها أن تثير حفيظة أو انزعاج هذا الطفل. . .

فلذلك. . عندما أزعجها ـ أي إسرائيل ـ الزعيم العربي جمال عبد الناصر بقوله: إنه سوف يُطعم «هذا الطفل» لسمك البحر، كان قرار أمريكا حرب تطحن كل مقدرات هذا الرجل وبلده مصر، وكانت حرب الـ ٦٧ وما جاءت به من دمار.

وقبل ذلك عندما أزعجتهم أفكار هتلر، كانت الحرب العالمية الثانية والتي أتت على كل مقدرات هتلر وشعب هتلر وألمانيا كلها، بعظمتها وسلطانها ونفوذها وحتىٰ وحدتها آنذاك!!

كذلك فإنه عدنما استطاعت أن تثير مخاوف الرئيس العراقي صدام حسين فأزعج شعب اليهود بقوله عام ١٩٩٠م «سأحرق نصف إسرائيل» كان سببٌ مقنع لدى الأمريكان من ضرورة تفعيل المخاوف الإسرائيلية من تقدّم هذا «المارد» كما سموه، أو «الوحش المُطلق السراح»(١) في المنطقة قبل أن تستفعل قدراته في التقدم. . . والنماء!

(٣)

في ١٩ كانون الثاني من عام ١٩٨٩م، التقى سراً في موسكو، ممثل الحركة الصهيونية الآن «هنري كيسنجر» مع زعيم الحركة الشيوعية والاتحاد السوفياتي «ميخائيل غورباتشوف» حيث أبرما اتفاقاً على إعادة بناء الهيكل العام لنظام عالمي

---

(١) هذه بعض التسميات والمصطلحات التي تبنتها الدعاية الصهيونية، ونادت بها بعد ذلك الزعامة الأمريكية من أجل تشويه نوايا العراق وصورته!!

جديد، تحكمه نفس الزعامة ذات القطبية المزدوجة وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، مع إعطاء الولايات المتحدة صلاحيات ذات حجم أكبر وأجدر في تبني القرارات الدولية التي يجب دعمها من قبل الاتحاد السوفياتي بكل قوته.

وبالوقت نفسه، فإن الولايات المتحدة قد عززت من اتفاقها مع كل من زعيم الحركة النفطية والمصرفية العالمية «ديفيد روكفلر» وممثل الحركة الصهيونية بكل طاقاتها «هنري كيسنجر» على دعم الولايات المتحدة من أجل تحقيق انهيار الحركة الشيوعية، وانتصار الرأسمالية عليها.

. . . هذا الأمر بمجمله، هو الذي جعل القناعة لدى الأمريكان أكيدة في أن سنوات الحركة الشيوعية والاتحاد السوفياتي قد أشرفت على الانتهاء إلى حد قريب، وأن الزعامة لهذا الهيكل ـ هيكل النظام العالمي الجديد ـ لا بدّ وأن تنتهي إلى أحادية القطب وهي الرأسمالية، دون أن يكون لدى الأمريكان أدنى شك ـ بعد زوال خطر الحركة الشيوعية وخطر الثورة الإسلامية في إيران ـ من وجود أي شيء قد يُعكّر صفاء هذه القناعة.

. . . إلاّ أنه، وفي العام نفسه ـ ١٩٨٩ ـ بدأت صراخات «الطفل المدلل» تعلو وتتناثر في كل مكان، من خطر التقدم العسكري والتقني العراقي. . . وبدا هذا الإزعاج أو الانزعاج لأمريكا على أنه البقعة المظلمة التي يمكن أن يمتد سوادها فيصل إلى قليل من النور، فيكون ذلك على حساب «الحلم الأمريكي» في احتلال أحادية القطب في التحكم في منظومة النظام العالمي الجديد. .

ومن هنا يمكن اعتبار إعلان الزعيم العراقي وعرضه لبعض صناعاته الصاروخية المتطورة وتهديده بإحراق نصف إسرائيل بها، هي الغلطة الفظيعة والسبب الأكبر في دخوله حرب الخليج والتي أتت على كثير من مقدراته وحضارة بلاده. . وأجزاء من جيشه. .

ثانياً

القرارات المخطوءة

و

القرارات المقصودة

إن الحقيقة التي لا يجب تغييبها، هي أن الصفين المتقابلين في صحراء الخليج هما الجمع الأمريكي بكل شرائره وأحقاده وأحلافه، والجمع العراقي بكل عفويته وعنفوانه؛ قد جمعتهما في هذه الحلبة عدة قرارات ـ كما يبدو على ظاهر الأمر ـ منها القرارات التي تبنتها الولايات المتحدة بكل ثقة واقتدار وحنكة سياسية، وتم إصدارها عن طريق ذلك المبنى المأجور بكل شيء فيه. وهي قرارات أصدرت بأرقام معينة، وتواريخ معينة، وتحت غطاء همجي مدروس، فكانت بحق قرارات حصيفة بمعنى لا يقبل الجدل، وأنه تم وضعها بكل دهاء وخبث لا يُدانيهما أي دهاء أو خبث.. والتي كانت ـ أي هذه القرارات ـ بكل تفاصيلها ودقائقها تدعو إلى أمرٍ واحد وحيد؛ هو أن لا بد من الحرب..

على النقيض من كل تلك القرارات التي كانت تصدر عن الصف المقابل «العراق» والتي كانت تصدر عمّن يصدرها خالية من أي خبث سياسي أو أي مكرٍ قيادي أو أي دهاء عقلي، بحيث يتم كسب نتائجها لصالح أصحابها، بل على النقيض من ذلك، أنها كانت تصدر بناء على تخطيط مستعجل.

القرار الأول:

فلو نظرنا في القرار الأول الذي كان كما بدا سبباً لهذه الحرب الطاحنة، وهو القرار العراقي ببدء التفكير بالحل العسكري لحلّ مشاكله التي ظهرت فجأة للعالم مع الكويت، وذلك عندما استدعى السفيرة الأمريكية في **٢٩** تموز **١٩٩٠** ليجس النبض الأمريكي وردة فعله المتوقعة على هذا «العمل الممكن» من خلال سفيرته في بغداد «ابريل جلاسبي» والتي كان جوابها له مليئاً بكل ما يمكن وصفه بالمكر والخدعة والذهاء والخبث السياسي. . «سوف أعود إلى واشنطن، وإني أعدك خلال إجازتي السنوية هذه بأن أجري بعض المشاورات بهذا الشأن»!!

قد يبدو هذا الجواب الرسمي، هامشياً أو أنه لا يحمل أي وعد مستقبلي أو ضوء أخضر. لكنه عندما يكون الحال عند هذا الجواب مع وجود دلائل أزمة فعلية وتحشد ما يزيد عن الثلاثين ألف جندي من الجيش العراقي على الحدود الكويتية، بالإضافة إلى صور الأقمار الصناعية الأمريكية التي تشير إلى نية صادقة في إمكانية العمل العسكري للقوات العراقية. . . عندما يكون الحال كذلك، فإن مثل هذا الجواب لا يكون في الحالات الدبلوماسية إلا جواباً رسمياً على أن إمكانية التدخل الأمريكي في مثل هذه المعضلة سيكون مستبعداً، أو غير وارد على الإطلاق. ذلك لأن الجواب واضح إذا أخذته بصفاء النية. . وإن أقل ما يمكن أن يُستشفّ منه هو أن الأمر لا يعنينا كثيراً نحن الولايات المتحدة!!

وهذا بحد ذاته يعتبر الطُعم الثاني الذي نصبه أو نُصب للعراقيين ـ بعد طعم السوفيات ـ كي يقعوا في شَرَك هذه الحرب التي لم تكن لصالحهم. . وكان هذا أول قرار خاطىء للعراق في تقدير الموقف الفعلي لردة الفعل الأمريكية على اجتياح الأراضي الكويتية كاملة واحتلالها بالقوة العسكرية.

القرار الثاني:

في الساعة الثانية من صبيحة اليوم الثاني من آب ١٩٩٠، اجتاحت القوات العراقية الحدود الكويتية قاصدة احتلال الأراضي الكويتية وتغيير نظام الحكم فيها. . . وعند الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم كان القصر الأميري تحت سيطرة القوات العراقية، ولم تزل شمس ذلك اليوم حتى أحكمت السيطرة على كامل الأمارة الكويتية. .

ساعات قلائل هي التي تم فيها تنفيذ قرار الاجتياح. . وساعات قلائل بالفعل هي التي بدأ فيها البيت الأبيض يُبدي «تفاجئَه» من هذا العمل! ثم سخطه على هذا العمل. . ثم قراره بتجميد الأموال والموجودات العراقية والكويتية معها. . . ثم تلتها القرارات العالمية المعروفة.

ربما كان أو يكون هذا العمل مقبولاً للعالم كله بما فيها أمريكا، لو أن العراق ناور بقرار قضم الأراضي الكويتية بإحدى البدائل المعهودة عالمياً:

١ ـ عندما تراء للأمريكان أن رئيس دولة بنما شخص غير مرغوب به لسياساتهم الخارجية، لم يسارعوا إلى احتلال بنما عندما أعياهم أمر هذا الرئيس ـ مع توفر الإمكانية لقضم أرض بنما بأكملها. ولن يعترضهم أي احتجاج على هذا العمل، على ما أظن. لكنهم سارعوا إلى التخطيط بإنزال جوي «قادر» على جلب الرئيس البنمي «نوريبغا» مكبّلاً إلى أرض الولايات المتحدة ودون إحداث كثير من الخسائر للشعب البنمي وللبنية البنمية، ودون إحداث كبير للضجة العالمية. . وهذا دليل أكيد على أن هذا العمل الجريء ـ إلى درجة الهمجية ـ مقبولاً للشرعية العالمية من ناحية التصور العالمي لذلك!!

. . وكان جدير بالعراقيين أن يكفروا بهذا البديل الذي مهما بلغت

الاحتجاجات عليه فإنها لن تؤدي إلى صورة الحرب المروعة التي علمناها على الأقل.

٢ ـ كذلك عندما علت التهديدات المصرية بإغراق شعب إسرائيل في مياه البحر المتوسط وإطعامهم لأسماكه[١]. . لجأت إسرائيل إلى شن حرب شاملة، بمساعدة أمريكا وبريطانيا ـ سراً ـ وكانت نتيجتها إنهاك القوة المصرية وإضعاف قواتها العسكرية واحتلال جزء كبير من الأراضي المصرية والسورية والأردنية. . والتي ما زالت تحت الاحتلال إلى هذا اليوم منذ أكثر من ثلاثين سنة، ولم تكن الاحتجاجات العالمية ـ الكاذبة ـ على هذا العمل سوى قرار باهت من مجلس الأمن لم ير التفعيل، ولا أظنه يرى ذلك.

٣ ـ وعندما ازداد خطر نشاطات منظمة التحرير الفلسطينية على الواقع الإسرائيلي ـ وهذا الخطر ممثلاً في الرؤوس المدبرة في قيادة المنظمة ـ لم يجد الإسرائيليون غضاضة أو حرجاً من دفن هذه الزعامة في مقرها بتونس، وكان ما عرفناه من قصف مقر المنظمة في تونس، واغتيال أبي جهاد في عقر داره. . . وعلمنا ردة الفعل العالمية على ذلك رغم ما في هذا العمل من انتهاك لسيادة وحقوق الدول ووجود أكبر دليل على ممارسة الإرهاب بأقسى صورة وأبشعها. .

٤ ـ وحتى في حاضرنا الذي لا زلنا نعيش فيه، لا زالت إسرائيل تحتل جزءاً كبيراً من جنوب لبنان «لادعائها» بأن هذا الجزء من لبنان يصدّر أو ينبعث أو يتواجد عليه ما يمكن أن يشكّل خطراً عليها أو على أمنها. . .

---

(١) المقصود هو خطاب الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي سبق حرب حزيران عام ١٩٦٧ وهدد إسرائيل بإغراقها في مياه البحر المتوسط وإطعامهم إلى أسماكه، الأمر الذي كان يتغنى به المذيع المصري آنذاك «أحمد سعيد» «تجوع يا سمك».

أليس هذا واضحاً نراه مقبولاً للشرعية الدولية وللنظم التي تباكت على احتلال أمارة الكويت.



آثار القصف الإسرائيلي على مقر منظمة التحرير الفلسطينية بتونس، ويبدو في الصورة الرئيس الفلسطيني يتفقد آثار القصف
«فما هي ردة الفعل العالمية كانت يا ترى؟؟»

إن هذه البدائل وغيرها من البدائل والحقائق التي حدثت بفعل أو قرار أو مشاركة أو تحت أعين كل تلك الدول التي لم تفطن إلى مبادىء «العدالة» و «الحرية» و «الإنسانية» إلاّ في الحالة العراقية ـ الكويتية، بحيث جعلتها حالة التذكر المفاجئة هذه تتباكى ويعلو نحيبها على ما حصل للكويت في الثاني من آب ١٩٩٠م. . بالرغم من ذلك كله، إلاّ أنني لا أعتبرها قرارات أو بدائل مناسبة، إلاّ لمن ضاق صدره بخصمه ولم يجد بُدّاً ولا بديلاً عن مثل هذه البدائل. . ولا أظن العراق قد وصل مع الزعامة الكويتية إلى هذا الحال لو أنه تأنّى قليلاً وفكّر بالأهداف التي قُصد من ورائها كل أعدائه في دفعه ـ بمثل تلك المضايقات المصطنعة والمفتعلة ـ إلى مثل تلك الحرب التي عرفناها وعرفنا الكثير من بشاعتها وهمجيتها.

وإني على يقينٍ أقول، إنه كان أجدر بالعراقيين أن يبلغ بهم التفكير إلى أقصى درجات ضبط النفس وإلى أقصى أبعاده السوقية، ويعلم أنه أجدر له وأنفع، لو أنه لم ينفعل حيال كل تلك المضايقات، وأن يفكر ببدائل أكثر سلماً وأكثر حنكة وتدبيراً مما فعل:

١ ـ فلو أن العراق الذي أزعجه كثيراً انخفاض سعر برميل النفط بسبب إغراق السوق النفطي من قِبل الكويت والأمارات، قام بوقف ضخّ بتروله إلى العالم، لكان هذا القرار أنفع له وأجدر من أن يُوقف ضخ بتروله رغماً عنه، وكفيلاً بإعادة السعر العالمي للبرميل إلى أقرب ما يتمنى العراق على الأقل، وبالتالي لما كان لدى أي خصمٍ في العالم قدرة على جمع كل هذه الشعوب والقوى من أجل تدمير قدرات العراق وحضارة العراق. . .

٢ ـ لقد أكدت جميع التقارير العالمية والدولية وتأكد لدى الجميع في العالم ـ أفراداً ومؤسسات ـ أن العراق اقترب إلى حدٍّ كبير من صنع سلاحه النووي والصاروخي البعيد المدى القادر على ردع أي قوة في العالم تفكر ـ مجرد تفكير ـ في الهيمنة على قوته ودولته، وأن هذا السلاح يعتبر بحق أعظم إنجاز، ليس للعراق

فحسب، بل لكل العرب، وأنه ومن غير شك، سيكون القوة الضاغطة في كل الشرق الأوسط، سواء على نوعية القرارات التي ستصدر عن تلك الدول أو ماهيّة التصرفات التي يمكن أن تنضبط بها تلك الدول. . وخاصة في مثل هذا العصر الذي أصبح من أهم متطلباته أو سماته أنه لا يفهم ولا ينضبط به أحد إلّا بمفهوم القوة والسلاح.

فلو أن العراق تملّكه الصبر واستعان بأمل الوصول إلى هذا الهدف الأسمى والأنجع، لكان خيراً له على الأقل، وحافظ على كيانه بالشكل الذي يتمنى ويريد من غير أن يصل به الأمر إلى الحالة التي نرى. . من تبجح العالم عليه على الأقل. .

٣ ـ إن العراق الذي نفّذ تفكيره باحتلال الكويت وتأكد له ـ منذ اللحظة الأولى ـ أن كل دول العالم، بما فيها الدول الصديقة والشقيقة، هي دول لا تعير أدنى اهتمام لما يمكن اعتباره باسم الصداقة والأخوة أو القومية والعلاقات المشتركة، وأنها دول تحكمها ـ بكل معنى الكلمة ـ مصالح ومنافع ذاتية، وهي دول مستعدة للتضحية بكل المبادىء والأعراف والقوانين وقواعد الشرف من أجل الحفاظ على مصالحها تلك. . . كان يجب عليه ـ أي العراق ـ أن يفكّر بالإبقاء على صداقات هذه الدول وعدم إتاحة الفرصة لها في الوصول إلى الحالة التي تسمح لهم بالتلاعب بمستقبله وهدم حضارته. . وأن يفكر على الأقل أن الإبقاء على هذه الصورة الظاهرية من مسالمة هذه الدول له، هو خير له من كسب عدائها مجتمعة، وبكل ثقة. .

القرار الثالث:

لقد وَقَع العراقيون في الشَرَك الذي نصبته لهم كل من بريطانيا وأمريكا، فدخل الأراضي الكويتية غازياً، وسيطر على أراضيها محتلاً، وطرد حاكمها عُنوةً، ثم وضع لها حاكماً جديداً من الطراز الذي يتمنى ويُريد. . كل ذلك قد تم بوقت قياسي لم يتجاوز الـ «٦٥ ساعة»!

بالـوقت نفسـه، فإن بريطانيا وأمـريكا أظهرت للعالـم انذهالها من حدوث ما حدث، ثم انزعاجها مما حدث، ثم استنكارها لما حدث، ثم إصدارها أمراً رئاسياً بتجميد الأموال العراقية والكويتية كتعبير عن «شدة» غضبها على ما حدث، ثم دفعها مجلس الأمن الـدولي لعقـد جلسـاتٍ طارئة لإصدار القرار رقم ٦٦٠ الذي أدان احتلال القوات العراقية للكويت، ويطالب العراق بضرورة الانسحاب الكامل دون قيد أو شرط، ودفـع جمهـورية مصـر «العربية» إلى طلب إدانة الغزو العراقي من مجلس الجامعة العربية المجتمع في القاهرة على مستوى وزراء الخارجية العرب، والذي أدان الغزو، وطالب بضرورة الانسحاب العراقي من الكويت دون قيد أو شرط أيضاً. . كل ذلك تم في زمن قياسي لم يتجاوز الـ «٦٥ ساعة» أيضاً!!

الله أكبـر، أين كان كل هذا العنفـوان والزخم والتزاحم على إحقاق الحقوق وإعادتها إلى أصحابها عندما احتلت القوات الإسرائيلية الأراضي العربية قبل ٢٣ عاماً من ذلك التاريخ، ولا زالت تحتلها إلى الآن؟!

وقبل أن ينتهي زمن الـ «٤٨ ساعة» من بدء الاحتلال العراقي للكويت، كانت القوات البحرية والبرية وعدد من الطائرات الأميركية قد استلمت أوامرها بالتحرك إلى السعودية. . وكان ذلك في الثالث من آب ١٩٩٠ وهو الوقت الذي أعلن فيه الأردن عن إمكـانية عقد مؤتمر قمة مصغر في جدة في الخامس من آب الذي أُعلن عن إلغائها اليوم التالي عندما أدرك الملك فهد عاهل السعودية أن القوات الأمريكية قادمة لا محالة!

. . . كل هذا الزخم الدولي ـ ابتداءً من استنكار الاحتلال وحتى إدانته من قِبَل مجلس الأمن ـ لم يستـطع أن يحـرّك قراراً عراقياً بقبول الانسحاب والبدء بذلك فعلاً[1]. . . حتى كان الفزع الأكبر الذي أحدثه زعيم مصر الذي دعا ـ بصورة ملحة

(١) حيث أعلن العراق في ٣ آب ١٩٩٠ عن برنامج زمني للانسحاب ابتداء من ٥ آب ١٩٩٠ وبدأ بالانسحاب فعلاً منذ ٣ آب كتعبير عن صدق النية.

وبهيئة تظهر منها الشفقة المصرية على الوضع العربي بسبب تلك الأزمة ـ إلى عقد مؤتمر قمة عربي، ثم تبنيه لقرار الإدانة . . . الأمر الذي أثار حنق العراقيين وجعلهم يتراجعون عن إكمال إجراءات الانسحاب . . وهو الأمر الذي كانت تتمناه كل الدول المتشوقة لتدمير العراق .

هذا العُدول عن قرار الانسحاب، كان قراراً يجب أن يحرص العراق على تجنبه، لأن العراق في تلك اللحظات كان يملك أوراقاً كثيرة بين يديه وكلها رابحة، وكان يجب عليه أن يحرص كل الحرص على أن لا يفرّط بفقدانها من يديه :

١ ـ إنه سيكسب الرأي العام العالمي بقبوله لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠ القاضي بالانسحاب من الكويت، وبذلك يكون قد قطع الطريق على أي إمكانية لضرب وتدمير قواته، والتذرع بضخامة خطرها على الشرق الأوسط والعالم .

٢ ـ إنه قد تحقق له تغيير نظام الحكم في الكويت بعد فرار حاكمها دون مقاومة، وبعد أن تم له تنصيب الحاكم الذي يريده على سدة الحكم في الكويت[1] .

٣ ـ إنه قد تحقق للعراق إرسال إشارة واضحة وقوية إلى كل من تُسوّل له نفسه باللعب ـ مرة أخرى ـ بالورقة العراقية أو محاولة تهديد اقتصاده . . وهذا الأمر لو فكّر به العراقيون مليّاً لكان خيراً لهم، لأن في مضمونه قيمة سوقية عظيمة، وأنفع له من السيطرة على الأراضي النفطية بأسلوب السلاح والاحتلال . فهذا العصر أبرز ما فيه أنه أظهر أو أفرز صورة واضحة للعالم مؤداها : أن احتلال القرارات والسيطرة عليها أهم بكثير وأجدى وأنفع وأسلم من احتلال الأرض .

---

(١) حيث أعلن في ٤ آب ١٩٩٠ عن تعيين حكومة جديدة للكويت مكونة من ٩ ضباط برئاسة العقيد علاء الدين حسين علي .

القرار الرابع :

في ١٨ تشرين الثاني ، قرر الرئيس العراقي صدام حسين السماح للأجانب المقيمين في العراق والكويت بالمغادرة ، والبالغ عددهم قرابة الـ «٢٠» ألف مدني ، كان قد قرّر من قبل في ١٦ ، ١٧ آب ١٩٩٠ اتخاذهم كدروع بشرية في المنشآت الاقتصادية والحيوية بهدف حمايتها من القصف في حالة نشوب الحرب.

هذا القرار ـ أي قرار السماح للأجانب بالمغادرة ـ كان قراراً أقل ما يمكن أن أقول فيه إنه تم اتخاذه على أرضية واهنة ، وهو دلالة أكيدة على وضوح التخبط في السياسة العراقية.

فهذه الدروع البشرية ، كان سيكون نفعها أكثر بكثير من ضررها لو بقيت في العراق. فهي على الأقل ، إن لم تحْمِ تلك المنشآت والمصانع والمناطق الاستراتيجية من القصف الهمجي والوحشي ، فإنه سيكون لذلك القصف ثمنه من الخسائر البشرية للعدو ، ولن يكون أيضاً بتلك الصورة من الكثافة والجرأة التي تمثلت بها أثناء عمليات القصف الجوي للعراق.

وهذا أمر كان من الواجب على العراقيين التفكير به وحسمه بعيداً عن آراء السياسيين الذين أقل ما يمكن لي أن أقول فيهم : إن الذي تحت جَلْد الأسواط ليس كمثل الذي يتفرج عليها. بالإضافة إلى أن الاحتكام إلى حالة العواطف واستمالة الضمائر الحية في مثل هذه الظروف أمر لا يمكن القبول به.

القرار الخامس :

بعد أقل من ٢٤ ساعة من دخول القوات العراقية الكويت ـ أي في ١٩٩٠/٨/٣ ـ صدرت الأوامر من قبل الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى قوات الانتشار السريع في جنوب شرق الولايات المتحدة بقيادة الجنرال ـ ٥٦ عاماً ـ نورمان شوارسكوف بالتحرك إلى العربية السعودية لحشد قوات كافية «للدفاع» عن العربية

السعودية ضد أي هجوم عراقي محتمل.

ولقد صدرت هذه الأوامر بناءً على أسس ثابتة مدروسة ومُعدّة سلفاً:

○ مبدأ أيزنهاور، وهو اقتراح تقدم به الرئيس الأمريكي الأسبق إلى كل من مجلس الشيوخ والنواب بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦، حيث وافق عليه كلا المجلسين، وأصبح نافذ المفعول اعتباراً من شهر آذار ١٩٥٧م. وهو يتضمن حق «إرسال القوات المسلحة الأمريكية للدفاع عن أي من الحكومات[١] الصديقة في الشرق الأوسط التي تواجه تهديداً مسلحاً من قبل أي دولة أخرى تدور في فلك الشيوعية العالمية». وعُرف هذا الاقتراح فيما بعد باسم مبدأ أيزنهاور، الأمر الذي جعل خبراء السياسة الدفاعية في البنتاغون يُقسّمون العالم إلى مناطق نفوذ، كل منطقة تتطلب قوات انتشار سريع وقيادة مركزية لهذه القوات تكون جاهزة للدفاع عن تلك المناطق حسب تطورات الأحداث. وكانت المنطقة الممتدة من كينيا إلى الباكستان تقع تحت مسؤولية قيادة مركزية سُميّت (Cent. Com.) اتخذت من قاعدة «ماك ديل» في فلوريدا مقراً لها، حيث كان يرأس هذه القيادة في الحقبة الأخيرة الجنرال نورمان شوارسكوف.

○ تقرير قيادة مركز السنتكوم (Cent. Com.) وهو تقرير تقدم به الجنرال نورمان شوارسكوف بُعيد انتهاء الحرب العراقية ـ الإيرانية عام ١٩٨٨م، مفاده «إن أسوأ ما يمكن أن يحصل في منطقة الخليج في الفترة القادمة هو استيلاء العراق على آبار النفط السعودية، خاصة وأن الجيش العراقي أصبح قوة مؤثرة، وربما رابع جيش في العالم»[٢].

○ الخطة السرية رقم ١٠٠٢/٩٠، وهي خطة عسكرية بالغة التعقيد وضعتها

---

(١) لاحظ أخي القاريء «أي من الحكومات» وليس الدول أو أراضي الدول.

(٢) راجع التفاصيل في كتاب عاصفة الصحراء ـ لأريك لوران ـ ص٢١.

وزارة الدفاع الأمريكية للدفاع عن أي منطقة في الشرق الأوسط تحتل ثقلاً جيداً في إنتاج البترول وتتعرض حكومتها لخطر السيطرة من قبل أي دولة أخرى.

إلا أن هذه الخطة كانت تحمل في طياتها بعض الثغرات ـ كما ادعى شوارسكوف فور تسلمه مهمة قيادة تلك القوات ـ إلى درجة أن الجنرال شوارسكوف قام بتطويرها وتعديل كثير من بنودها بحيث تتناسب مع إجراء العمليات العسكرية في صحراء الخليج بالذات.

□

وبالفعل بدأت القوات الأمريكية بالتحرك نحو الخليج بناءً على أوامر بوش المستندة على هذه المعطيات الثلاث اعتباراً من الرابع من آب ١٩٩٠م[1].

هذا الأمر بمجمله، وهو تحرك القوات الأمريكية من جنوب شرق الولايات المتحدة ونزولها في قاعدة الظهران بالسعودية قرب الحدود العراقية، والذي تبعه قدوم قوات من مختلف الدول العالمية والعربية... هذا الأمر، كان يجب على العراقيين أن لا يسمحوا به مطلقاً وأن لا يتركوا هذه القوات ـ على الأقل ـ أن تحصل على ذلك الأمان الذي حصلت عليه أثناء مرحلة حشد قواتها من أجل بدء الحرب على العراق، وذلك لأسباب عديدة وذات قيمة سوقية وعسكرية أهمها:

---

(١) وهذا دليل أكيد على أن الموافقة السعودية على قدوم هذه القوات لم تكن ذات قيمة بالنسبة للأمريكان، بدليل أن الوفد الأمريكي المؤلف من وزير الدفاع ريتشارد تشيني. وكولن باول رئيس القوات الأمريكية المشتركة، وروبرت غيتس مدير CIA ونورمان شوارسكوف والذي قدم إلى السعودية من أجل انتزاع هذه الموافقة من العاهل السعودي، حطت طائرتهم مساء الخامس من آب في مطار جدة حيث كان الوقت متأخراً في ذلك اليوم إلى درجة أنهم لم يستطيعوا مقابلة الملك فهد إلاّ صبيحة اليوم التالي ـ أي ٦ آب ـ حيث وافق الملك فهد فور عرض الموقف عليه!!!

١ ـ إن كل العرب ـ والرئيس العراقي واحد منهم ـ يؤمنون كل الإيمان بالحديث الشريف الذي يقول «ما غُزي قوم في عقر دارهم إلاّ ذُلّوا». وهذا أمر يجب أن لا يغيب عن أذهان العسكريين والسياسيين في العراق، وكان واجب عليهم أن يفكروا قبل ذلك بنقل ساحة المعركة إلى منطقة آمنة لحدودهم ودولتهم.

٢ ـ الأمر الآخر وهو الأكثر أهمية من الناحية العسكرية، هو أن لا تُترك القوات المعادية أن تأخذ مواقعها بشكل منظم وآمن في منطقة الحشد، فالإرباك للعدو في هذه المرحلة هو من أهم أسباب النصر في المعركة، وهو أمر كان يجب على العراقيين أن لا يتركوا قوات التحالف تتمتع به إلى هذا الحد[١]، وهي فرصة كبيرة كانت سانحة للعراقيين للانقضاض على عدوهم قبل تمكنه من التمركز بالقرب من حدودهم في السعودية.

وبحق، يُعتبر هذا القرار ـ أي قرار عدم التصدي للقوات القادمة للتحشد في شمال السعودية ـ هو قرار من أكبر القرارات خطأً وخطراً على العراق، وثبت ذلك بالفعل فيما بعد.

---

(١) لقد أثبتت التقارير السرية التي كُشف عنها بعد حرب الخليج أن صواريخ التوما هوك البحرية وغيرها من الصواريخ الاستراتيجية كانت غير جاهزة للإطلاق على مواقع عراقية، وذلك كونها تحمل برنامجاً إلكترونياً مجهزاً مسبقاً، ومبني على خرائط لمواقع وأهداف في الاتحاد السوفياتي، وبقيت كذلك حتى اقتراب موعد حرب الخليج، وهو الأمر الذي كان يقلق شوارسكوف حتى تم تغيير هذه البرامج على أهداف عراقية.



القوات الأمريكية وهي تهبط في قاعدة الظهران بالسعودية

(٢)

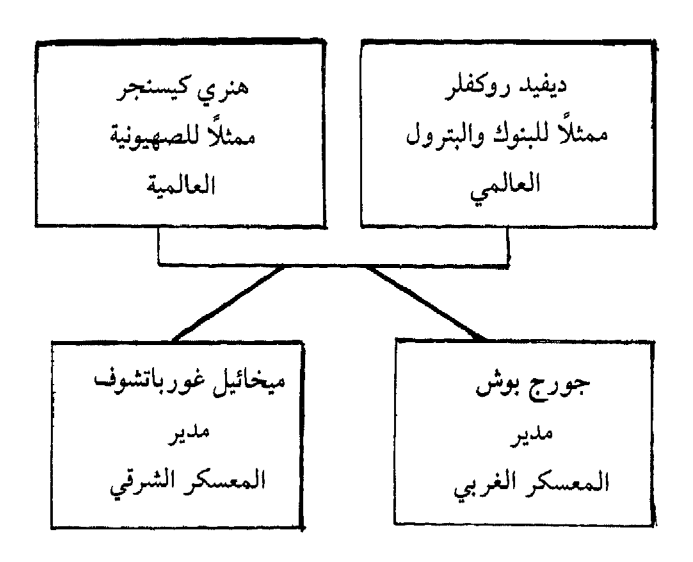
هذا عن بعض القرارات العراقية، التي بدا فيها واضحاً جسامة الخطأ الذي ارتكب عند تبنّيها وإصدارها، وهي قرارات على النقيض من تلك التي كانت تُتخذ لصالح أمريكا بالذات.

تلك القـرارات ابتداء من القرار رقم ٦٦٠ الصادر عن مجلس الأمن الدولي بتاريخ ٢ آب وهو يوم الاجتياح العراقي للكويت، حتى القرار رقم ٦٧٨ الذي سمح للقـوات «الـدولية» باتخاذ كافة التدابير والوسائل الكفيلة بإخراج جيش العراق من الكويت، كلها قرارات تعتبر بحق ـ وكما أسلفت ـ صـادرة عن حالة تُعبّر عن الاتزان والخبث والمكر السياسي معاً، وهذه حالة تتطلبها ظروف الحرب ولا شك.

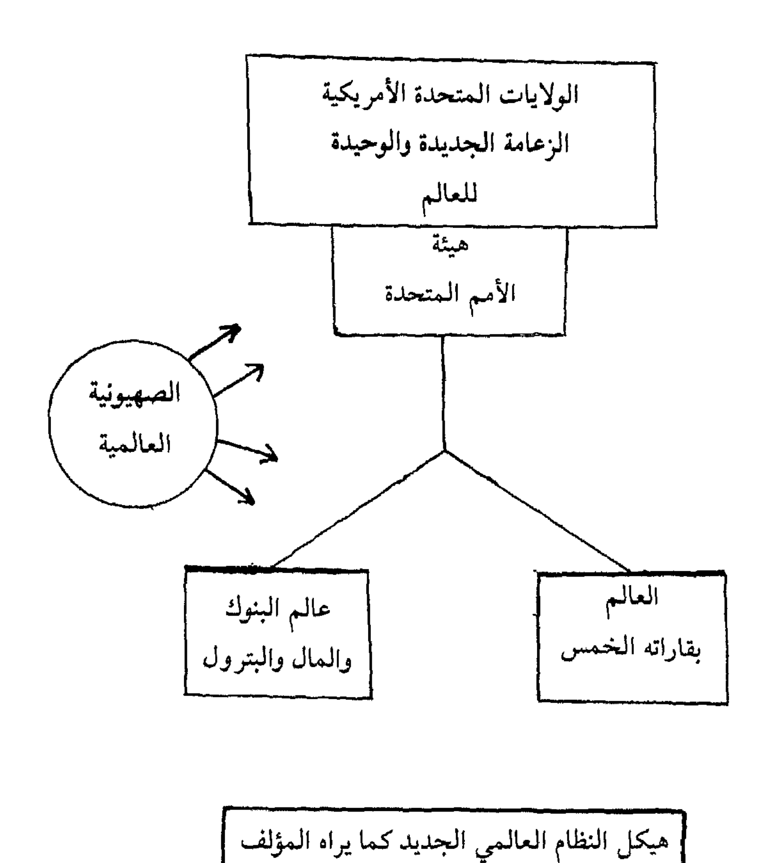


مجلس الأمن الدولي، كان ليس له دور في الأزمة غير تدويل القرارات التي تتبناها الولايات المتحدة والصهيونية العالمية

وأهم ما كان يُميّز هذه القرارات أنها كانت مبنية على ما سمي بالقاعدة الشرعية، ذلك بسبب صدورها عن مجلس الأمن الدولي وهيئة الأمم المتحدة والتي ـ أي هذه الهيئة ـ أصبحت متأثرة إلى درجة كبيرة بالهيكل الجديد للنظام العالمي الجديد. وجدير بالإشارة أن أُذكّر القارىء الكريم بشكلية النظام العالمي القديم، وما هي القوى التي كانت تحكمه، وما آل إليه هذا الهيكل بعد زوال قوة الاتحاد السوفياتي، وأترك للقارىء الكريم حق المقارنة بين الهيكلين وما يحتويان من فوارق عجيبة عند دراسة دقيقة لمضمونهما.



هيكل النظام العالمي القديم كما ورد في تقرير
نورث بوينت/ الولايات المتحدة/ عن شهري أيلول وتشرين ثاني ١٩٩٠



هيكل النظام العالمي الجديد كما يراه المؤلف

ولمساعدة القارىء الكريم في طرح بعض الفروقات ما بين الهيكل الأول والهيكل الثاني للنظام العالمي، فإني أود التذكير بما يلي:

أولاً: إن النظام العالمي القديم كان نظاماً محكوماً إلى زعامة ذات قطبية مزدوجة ممثلة بالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بكل تناقضهما وتصارعهما على اقتسام العالم، وتسيطر على هذه الزعامة وتدير قراراتها ـ من وراء حجاب ولكن بتأثير مباشر ـ حقيقة المال والبترول وثقله على منظّري السياسة العالمية وحقيقة اللوبي الصهيوني ومدى انتشارها في العالم واحتكامها إلى زعامة مخلصة لمبادىء الصهيونية العالمية وهي زعامة هنري كيسنجر.

ثانياً: إن شركات البترول والبنوك الدولية بالإضافة إلى اللوبي الصهيوني كانا في النظام العالمي القديم يأتيان في لبّ الموقع الذي يمكّنهما من التأثير المباشر على تصدير القرارات السياسية الدولية المنبعثة من زعامة ذلك النظام، بينما النظام الجديد تبدو منه الثروة البترولية وعالم المال كإحدى كرات اللعبة، بينما الصهيونية العالمية خرجت من اللعبة مع حفاظها على التأثير الزخم وغير المباشر على زعامة النظام الجديد وبقية هيكلته.

ثالثاً: إن النظام العالمي الجديد أصبح تحكمه زعامة ذات قطبية منفردة هي الولايات المتحدة ـ بكل شرورها وأحقادها وعنجهيتها ـ من خلال ذلك المبنى المأجور والذي يُدعى هيئة الأمم المتحدة، ولذلك يبدو الهيكل الثاني بصورة مقلوبة بالنسبة للهيكل الأول، وهذا ما أظنه بداية الانهيار للدولة العظمى الوحيدة في العالم.

O

هذه القرارات.. سواء القرارات التي تبناها العراق عن طريق قيادة مجلس الثورة فيه، أو القرارات المقصودة، المحسوبة بدقة، التي تبنتها الزعامة الأمريكية عن طريق مجلس الأمن الدولي.. هي قرارات بلا شك كانت من أهم الأسباب التي دفعت بالعراق إلى حالة الحرب التي لم تكن بالتأكيد لصالحه. وهي أسباب تعتبر بحق من الأسباب المباشرة الظاهرة لحرب الخليج بالإضافة إلى الأسباب التي أوردناها سابقاً، والتي سنذكرها آنفاً.

ثالثاً

الواقع العربي

لقد كان الواقع العربي قبل القرن السادس الميلادي واقع مفكك إلى مستوى القبائل المتناثرة والمتناحرة ودويلات ذات طاقات ممروءة ومهدورة ترزح تحت حكم الإمبراطوريات الفارسية والرومية.

. . . ولما جاء الإسلام مع نهايات القرن السادس الميلادي، انطلق من الجزيرة العربية وبدأ ينشر تعاليمه ومبادئه في أرجاء المعمورة، حتى تمكن من تأسيس دولة إسلامية مبنية على أسس وقواعد راسخة، استطاعت أن تُحكم سيطرتها وتمدّ نفوذها على جزء كبير من بلاد الشرق الأوسط بالذات، وقهر كل من الإمبراطورية الفارسية والرومانية ودحرهما إلى ما وراء البلدان الأوروبية، بعد إقامة العدل ونشر سلطان المحبة والسلام في كل أرض دخلتها.

ولقد تعاقبت على قيادة هذه الدولة حكومات استطاعت أن تعطيها كثيراً من التقدم والازدهار. . حتى جاء العثمانيون إلى سُدة حكم هذه الدولة، والذين كانوا سبباً من أسباب تراجعها. . ثم انحلالها. . ثم تفككها إلى دويلات تتصارع على اقتسامها الدول الاستعمارية من جديد.

. . . وكان القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مليئان بحالات التجزئة والانقسام والتحلل من المبادىء والأخلاق والقيم النبيلة. .

وكان الوطن العربي أكثر المتأثرين بهذا، فكانت التجزئة إلى دول ودويلات وأمـارات هي أخطر حالة يمرُّ بها هذا الوطن الذي كان قبل قليل تهابه كل الدول الشرقية والغربية، وتحسب له ألف حساب.

وصارت كل تجزئة من ذلك الانقسام تُسمىٰ دولة مستقلة ذات سيادة! فصارت قَطَر دولة، ومصر دولة. . . !! ولكل دولة وزنها وثقلها وأهميتها عبر التاريخ.

. . ولقد عاش المستعمرون في هذه الدول حقبة من الزمان، نهبوا من خلالها ثرواتها وأفسدوا أخلاقها ودكّوا عقيدتها. . حتى صارت دولاً لا يطيقها حتى أهلها، لِما وصلت إليه من حالات الذل والقهر والتردّي والانسلاخ.

عند ذلك بدأت حركات التحرر من هذا الاستعمار المقيت بالظهور، فكانت المقـاومة الشعبية ضد المستعمرين، وكان النضال الملثم بالدماء الزكية من أجل إخراج الطغاة ونيل الحرية والاستقلال. . . وكان. . وكان. . .

ولما أدرك المستعمرون قرب انتهاء وجودهم على أرض هذه البلدان عمدوا إلى خلق فتنة[1] يمكن إشعالها بأي وقت من الزمان، وهي فتنة حيّة على مدى الدهور؛ فجعلت بين كل دولتين من هذه الـدول ما سمي بالمنـاطق المحايدة، أو مناطق الخدود المتنازع عليها. . . !

فكانت بين مصر والسودان مشكلة حلايب، وبين السعودية واليمن مشكلة عسير وجيزان ونجـران، وكانت بين قطر والبحرين فشة الديبل وجزر حوار، وبين سوريا وتركيا لواء الإسكندرونة، وبين الكويت والسعودية منطقة حدودية. . والأمثلة كثيرة، فليس هناك جارتان من تلك الدول إلاّ وترك المستعمرون بينهما إما مشكلة حدودية أو طموح في الدولة الكبيرة على استيلاء أجزاء من الدولة الصغيرة. .

(١) وذلك بعد تقسيم الوطن العربي الواحد إلى دويلات.

وأما بالنسبة للعراق موضوع حديثنا، فإن الاستعمار ترك له أكبر مشكلتين يمكن أن تلتهي بهما الحكومات المتعاقبة على قيادة العراق عن أي تقدم أو ازدهار أو نماءٍ أو تطور فعلي لهذا البلد، وهما مسألة الحدود المختلف عليها مع دولة فارس جارتها في الشرق، واقتطاع مقاطعه الكويت منها في بداية القرن الحالي من قبل بريطانيا في الجنوب، وإعطاء هذه المقاطعة مواصفات الأمارة المستقلة، الأمر الذي ضيّق الخناق على العراق وجعله من غير منفذ بحري يتناسب وحجم دولته وتجارته. وهذا الأمر جاء بعده اقتطاع منطقة كردستان وعبدان المطلتين على خليج العرب إلى إيران كمحاولة لحل المشاكل الحدودية بينهما، وذلك بموجب معاهدة الحدود الموقعة سنة ١٩٣٧م ومعاهدة الجزائر سنة ١٩٧٥.

هذا عن العراق كدولة كبرى في الوطن العربي أو كإحدى الدول الثلاث التي تعتبر بحق من أهم الدول العربية مساحة وسكاناً وحضارة في الوطن العربي بأكمله.. هذا الوطن المقسّم لغايات الاستعمار لتوّه.

أما مصر، كأعرق دولة من حيث العلم والحضارة والسكان والمساحة والموقع الاستراتيجي، فإنه يمكنني الحديث عنها بثلاث حالات:

الأولى: أن مصر قبل أكثر من ألفي عام، تلقّىٰ فيها الرسول اليهودي موسىٰ عليه السلام ـ الذي أرسله الله عزّ وجل إلى فرعون وأهله في مصر ـ أمراً من ربه بأن يُخلّص من آمن معه من أهل مصر من طاغوت فرعون، ولمّا علم موسىٰ عليه السلام أن فرعون قد عزم على قتله وإبادة جماعته، حاول الهرب بهم، خارجاً من مصر باتجاه الجزيرة العربية.. ولما اعترضه البحر، وقف هناك وقد أوجس في نفسه خيفة؛ فالبحر أمامه وفرعون وجنوده من ورائه..

وبقي حائراً حتى جاءه الأمر الإلهي، أن اضرب بعصاك البحر، حيث فُتحت له طريق برّي سلكه وجماعته حتى انتهوا إلى اليابس المقابل.. ولمّا رأى فرعون ذلك ـ وقد أخذته العزة بالإثم ـ حاول اللحاق بهم عبر تلك الطريق اليبس، فكان

أمر الله وقَدَرُه؛ أن أطبق البحر على فرعون ومن معه من أهل مصر.

والقصة طويلة وشيقة، إلاّ أن سرد تفاصيلها غير وارد في هذا المقام، والمهم في ذلك، أن فرعون ـ وهي عادة القادة في سائر الأرض إذا خرجوا في مهمة أو لأمر جلل ـ خرج لقتال موسى وجماعته ومعه كل أعيان وأشراف ونبلاء وفرسان وقادة وساسة مصر. . وما بقي في الحقول والبيوت المصرية خلف هذا الزحف الفرعوني غير الرعاع والعبيد والجواري والغلمان. . وليست المصيبة في ذلك، بل المصيبة أن فرعون ومن معه غرقوا جميعاً في البحر، ولم يعد منهم أحد. . . !!

الثانية: أن مصر ازدادت أهميتها في العالم بعد فتح قناة السويس ما بين البحر المتوسط والبحر الأحمر، فقلُصت بذلك الطريق التي تسلكها السفن البحرية التي كانت تجوب طريقاً طويلاً عبر الرجاء الصالح، تكلّفها زمناً ووقتاً عظيماً أصبح أمر تقليصه واختصاره ذا قيمة عظيمة في الزمان الحاضر وعصر السرعة.

ولقد تمثلت أكبر قيمة لذلك عندما احتاجت أساطيل قوات التحالف البحرية أن تنتقل من عرض البحر المتوسط إلى البحر الأحمر وخليج العرب، وهي سفن وحاملات طائرات وبوارج حربية ممنوع مرورها بقناة السويس بسبب وقودها النووي، إلاّ أن مصر لم تبالِ بتلوث قناتها أو تعطي بالاً لاحترام قوانينها، وسمحت للبوارج والقطع الحربية بالمرور من دون عناء في الحصول على الموافقة.

الحالة الثالثة: هي أن مصر كغيرها من دول الشرق الأوسط، تعرضت لضغوط استعمارية منذ قديم الزمان جعلتها غير قادرة على القيام بدورها الإيجابي ـ مع كبير حجمها وعدد سكانها ـ في الوطن العربي بشكل خاص والشرق الأوسط بشكل عام. . ولم يُكْتَفَ بذلك، بل حاول المستعمرون أن يجعلوها قادرة على الضلوع بدور سلبي على مدى الأزمان والدهور، ولقد حاول الزعيم العربي جمال عبد الناصر أن يُغيّر وجه هذه الصورة، وأن يجعل من مصر بلداً عربياً قيادياً يمكن أن يضطلع

بدور ريادي في الشرط الأوسط كله، إلّا أنه لم يُفلح في ذلك ووافته المنيّة قبل أن يتحقق له ما أراد. . واستلم سُدة الحكم من بعده أنور السادات. . وآل الأمر إلى ما آل إليه. . والبقية عند القارىء الكريم. .

أما سوريا، فإن أهم ما يميزها هو حاضرها «الرافض المناهض للإمبريالية، المنادي بالوحدة والقومية العربية، المعادي للصهيونية» وخلافها مع العراق؛ المنبثق عن كونهما دولتان تمثل كل واحدة منهما طرفاً في زعامة حزب البعث العربي الاشتراكي، بالإضافة إلى نزاعهما على الحالة اللبنانية، وهو نزاع مصطنع لا يخدم إلّا أهداف القوى الاستعمارية واستشراء الضعف في الجسد العربي.

. . . فلما اندلعت أزمة الخليج، وصارت واقعاً مراً يلوكه ـ بحرقة وألم ـ كل العقلاء والحكماء والمخلصين في الوطن العربي الكبير، وأُغلقت منافذ تصدير النفط العراقي عبر تركيا والسعودية. . لجأت بعض الحركات والاتجاهات الشعبية العربية إلى مناشدة الرئيس السوري حافظ الأسد بفتح الأنابيب العراقية المارة عبر سوريا. .

وأدرك الأمريكان الخطر الذي يمكن أن يحصل لهم إذا قَبِل الأسد واستجاب لهذه المناداة، فأسرع جيمس بيكر فاتحاً بجرافته الدبلوماسية كل الطرق التي أغلقتها حواجز سوء العلاقات بين سوريا وأمريكا، وأخفت كل معالم الادعاءات الأمريكية على سوريا كأكبر دولة مصدرة للإرهاب. . . وانتقلت سوريا فجأة من صفحة القائمة السوداء إلى صفحة القائمة التي يمكن للدبلوماسية الأمريكية أن تتواضع كثيراً، وتضع شيئاً من بصماتها عليها!. . وأُعطي السوريون موافقة أمريكا على انقضاض سوريا على الزعيم العسكري اللبناني ميشيل عون المختلف عليه بين كل من سوريا ولبنان من جهة وأمريكا ودول الغرب والعراق من جهة أخرى.

وقبلت سوريا بهذه الصفقة. . . !!

أما السعودية ـ والتي أكثر ما يميزها في الوطن العربي أنها تمثل بالنسبة لهم مهد نبيهم المصطفى ﷺ وراعية قبلتهم التي يصلّوا نحوها ويتجهوا إليها، والتي هي أقدس الأقداس، وفيها مدينة نبيهم وقبره الكريم وجلائل الصحابة الكرام ـ التي يسند عرش حكامها أعمدة زان أمريكية فرضتها عليهم حقيقة وواقع الثقل البترولي عندهم؛ فإنه كان سهلٌ على الأمريكان إقناع زعامتها بأنها ـ أي السعودية ـ ستكون الكويت الثانية بعد أيام قليلة . . . ولم يكن لدى السعوديين ـ بناءً على معطيات كثيرة وسابقة ـ خيار آخر بأن لا يقبلوا مثل هذا العرض، باستقبال قوات أجنبية على أراضيهم . .

□ □ □

هذه أهم الخطوط البارزة في الواقع العربي التي لعبت دوراً بارزاً في هذا الصراع . . وكان بلا شك دورٌ سلبيٌّ بكل خلجاته وأبعاده .

فلو أن مصر لم تتبنَّ قرار الإدانة، وتُشجع عليه في الجامعة العربية أثناء انعقادها على مستوى وزراء الخارجية العرب بتاريخ ٣ آب ١٩٩٠، ولم توافق على السماح للقطع والأساطيل البحرية بالمرور من قناة السويس، ولم تتبنَّ قرار المشاركة بقوات التحالف أثناء القمة العربية بتاريخ ١٠ آب ١٩٩٠ . . واتخذت موقفاً مغايراً تماماً . .

ولو أن سوريا لم تقبل الصفقة الأمريكية وبقيت على موقفها بمعاداة الامبريالية والاستعمار الهمجي، واحتفظت وحافظت على عمقها الاستراتيجي بالنسبة للعراق، ومنفذاً بحرياً له . . وقوة حليفة على أعدائه . .

ولو أن السعودية لم تنخدع بالعرض الأمريكي الكاذب في ٦ آب ١٩٩٠م عند قدوم الوفد الأمريكي برئاسة ريتشارد تشيني وزير الدفاع الأمريكي، وبقيت على رفضها القديم المتمثل في عدم قبولها للتواجد العسكري الأجنبي على أراضيها المقدسة .

تلك أماني وأحلام تبددت وضاعت.

ولكنها، وبالرغم من كل الذي حصل وكان، كانت أماني وأحلام كل الشارع العربي من محيطه وحتى خليجه.. ذلك لأنها لو حصلت وتحققت لكان الوضع - بلا أدنى شك - غير الوضع الذي عرفناه.. أثناء الحرب وبعد الحرب..

ويا ليت أن الجميع تذكروا المثل الحكيم الذي قال «أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض» ولكن كما قال نزار في رثائه لزوجته بلقيس:

«بلقيس..
ليست هذه مرثيةً..
لكن..
على العرب السلام».

رابعاً
الاقتصاد الأمريكي
«ومتطلبات بقائه قوياً»

إن القناعة التي بلغت الفكر الأمريكي بُعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية، هي أن الاتحاد السوفياتي أصبح يملك قوة ردع عالمية ومتطورة، لا يمكن إخمادها أو إزالة أخطارها عن طريق الحرب.

لذلك كان خيار الأمريكان الأمثل في التعامل مع هذه المسألة، يكمن في محاربة الاتحاد السوفياتي عن طريق إنهاكهم اقتصادياً، بحيث يصلون ـ ولو بعد حين ـ إلى حالة رفع الراية البيضاء من غير قتال.

ولقد كانت الاستراتيجية الأمريكية في هذا المجال أو فيما اصطلح عليه «بالحرب الباردة» تعتمد على إثارة غريزة المنافسة عند السوفيات. ولقد ساعدهم في إنجاح هذا النهج؛ تمتع السوفيات بدرجة عالية من العمى المفرط عن مغازي وأهداف هذه السياسة. حيث كان السوفيات منذ البداية يشعرون أنهم الأقل حظاً، والأضعف قدرة في النواحي العلمية والتقنية والتصنيعية ـ وحتى الإمكانات ـ من نظرائهم في الغرب. لكنهم ـ مع ذلك كله ـ كانوا على الدوام يحاولون أن يظهروا بغير هذه الحقيقة، وهذه كانت غلطتهم في حسابات المستقبل. حيث عمد الأمريكان إلى نقطة الضعف هذه، لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية في إبطال مفعول القوة السوفياتية، بحيث لجأوا إلى ما اصطُلح عليه «بسباق التسلح» بين القوتين

الأعـظم. وكان سباق يُعلن عنه في حينه، ليتسنّى للعقلية السوفياتية بذل قصارى جهـدهـا وإمكـانـاتهـا في الـردّ على الصناعات العسكرية والتكنولوجية الأمريكية بصناعات مماثلة في القدرة، مختلفة في الأسلوب. . !!

وانتهى الأمر على ما عرفناه مع نهاية عام ١٩٩١م وبداية عام ١٩٩٢م من انهيار الاتحـاد السوفياتي وإعلانه عن إفلاسه اقتصادياً وسياسياً. . وحتى عسكرياً، أمام التنافس الأمريكي. . فتفكك الاتحاد إلى دويلات وجمهوريات تلهث وراء رغيف الخبز الأمريكي والغربي لكي تسـدّ رمق شعوبها على الأقل[١].

هذا ما عرفناه جميعاً عن الحالة السوفياتية والاقتصاد السوفياتي وما انتهى إليه، لكن الذي ربما كان غائباً أو غير بارز على السطح هو بداية التدهور والإنهاك بالنسبة للاقتصاد الأمريكي.

فالاقتصاد الأمريكي كان يعتمد بكل ثقله ووسائله وخططه وسوقيته على ركيزتين أساسيتين هما:

الأولى: بترول الشرق الأوسط، أو بترول العرب بشكل خاص.
الثانية: مبيعات الأسلحة بشكل رئيسي.

وكانت استراتيجية الركيزة الأولى تقتضي، أو تتطلب أو تفرض على السياسة الأمـريكية الإبقاء أو المحافظة على تدفق إمدادات النفط العربية والشرق أوسطية إليها من أجل استمرارية الركيزة الثانية وبقائها بالموقع الأقوى. وهذا الأمر كان له متطلباته الخاصة والعميقة، بحيث شاهدنا وعرفنا ما سمي «بالشرطي الإيراني» قبل

---

(١) ولم يكتف الأمريكيون بذلك، بل عمدوا إلى خداع الاتحاد السوفياتي وإقناعهم بأن الأسلحة التي تمكنوا من صنعها هي أسلحة خطرة على السلام العالمي!! وأنّه لا بد من التخلص منها. الأمر الذي صدقه السوفيات ووافقوا على التوقيع على اتفاقيات لتدمير تلك الأسلحة، ودفن كل تلك الجهود المضنية والطاقات والأموال التي صرفت على تلك الصناعات في التراب!!

عام ١٩٧٩م من أجل تحقيق أهداف هذه الاستراتيجية بعد زوال سيطرة شركات النفط الغربية على تلك المنابع إثر عمليات التأميم التي تبنتها دول النفط. كما شاهدنا وعرفنا كل السبل والأساليب التي كانت تنتهجها أمريكا في إدامة حالات التجزئة والانقسام، وخلق حالات التوتر والشحناء وعدم الاستقرار في المنطقة، لكي يبقى التهافت على شراء منتجاتها من الأسلحة والذخائر قائم. بالإضافة إلى أنه يعزز سياسة الولايات المتحدة نفسها في الإبقاء على حالات الفقر والجوع عند شعوب تلك المنطقة ـ نتيجة عمليات الشراء تلك ـ الأمر الذي يتطلب أيضاً التهافت على الاقتراض المستمر، هذا الاقتراض[1] الذي يكون في أكثر الأحيان إجبارياً على

---

(١) ورد في المقابلة التي أجرتها جريدة الدستور مع الدكتور يعقوب سليمان رئيس جمعية اقتصاديي العالم الثالث يوم ٩٢/١/٣، أن نسبة الدين العام ـ على دول العالم الثالث ـ إلى إجمالي صادراتها من السلع والخدمات كانت عام ١٩٨٩م كما يلي:

٣٠٢٪ في البرازيل، ٢٦٤٪ في المكسيك، ٢١١,٥٢٪ في فنزويلا، ٣٣٣٪ في مصر، ٢٤٩٪ في الجزائر، ١٢٣٤,٤٪ في السودان. كما أن نسبة إجمالي الدين الخارجي إلى مجمل الناتج القومي عام ١٩٨٩م كان ٢٤٪ في البرازيل، ٥١٪ في المكسيك، ١٥٩٪ في مصر، ٥٧٪ في الجزائر، ١٨١٪ في الأردن.

كما ورد في المقابلة نفسها:

أ . إن جزءاً ليس يسيراً من هذه الديون هو فوائد ديون متراكمة.

ب. إن سياسة البلدان الدائنة في إقراض البلدان النامية كانت تستهدف إغراق هذه الدول بالديون لترضخ لشروطها، ولتكون مدخلاً للتدخل في شؤونها الداخلية.

ج. إن جزءاً هاماً من هذه الديون ناجمة أساساً عن التبادل غير المتكافىء وشروط التبادل المفروضة على البلدان النامية.

د. إن جزءاً من هذه الديون هي في الأصل من أموال البلدان النامية المودعة في بنوك الدول الرأسمالية المتطورة. «يعني من لحاها فت لها».

فلاحظ أخي القاريء كيف الاستعمار لا زال يسعى بكل الوسائل للهيمنة على بلادنا وثرواتنا ونحن الذين نظن ـ مخطئون ـ أننا تخلصنا منه منذ منتصف هذا القرن.

شكل صفقات تجارية لمنتجات صناعية أو زراعية أمريكية، وهذا ما كانت تسعى إليه أمريكا وكل دول الاستعمار مع العرب. . . وهو ما حصل بالفعل.

ومع بروز معالم انتهاء مرحلة الحرب الباردة، كانت معالم ترهّل وإنهاك الحالة الاقتصادية في أمريكا واضحة، أو أنها قريبة من أن تبرز على السطح[1]، وهو أمر لم يَرُقْ للقائمين على السياسة الأمريكية. فلذلك عمد الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى الإبقاء على الصورة القديمة من حالة عدم الاستقرار ـ وخاصة بالنسبة إلى دول النفط ـ تلك الصورة التي من شأنها أن تُبقي على غريزة حب التسلّح وإظهار الحاجة الملحة إليه، ولذلك فإني أقول للذين يعتقدون أن أمريكا تحاول إقامة السلام في المنطقة، إنهم مخطئون. . ومخطئون جداً وإلى أبعد الحدود.

فأمريكا ليس في مصلحتها ـ نهائياً ـ أن يتحقق أدنى ارتفاع على سعر برميل النفط الخام، أو أن يتم التحكم ببترول العرب من قبل جهة واحدة ـ ومهما كانت درجة ولائها لأمريكا ـ كما أنه ليس في مصلحتها أبداً توقف الطلب على منتجاتها من الأسلحة والمواد الزراعية والحبوب[1]، لأن هذا يعني لها على الأقل وبكل جلاء

---

(١) وليس أدل على ذلك من سعي الرئيس الأمريكي بنفسه إلى اليابان وكوريا الشمالية في بداية عام ١٩٩٢ لكي يعقد صفقات تجارية مع كبريات الشركات اليابانية والكورية، تلك الصفقات التي من شأنها أن تنعش الاقتصاد الأمريكي أو تنقذه من حالة التدهور. . ولما فشل جورج بوش في تحقيق مهمته تلك مع اليابانيين، كان تدهور حالته الصحية بصورة مفاجئة وسقوطه على الأرض مغشياً عليه في الاحتفال الذي أقامه اليابانيون على شرفه أثناء زيارته تلك. وكان هذا أكبر دليل على مدى المخاوف التي تعتمل في صدر بوش على الحالة المتردية لاقتصاد بلاده.

(٢) ولذلك فإن أمريكا لا تتوانى أن تخلق أكبر مشكلة لأي دولة من الدول النامية التي تحاول أن تكفي نفسها من المواد الزراعية، وأن ما حصل بين أمريكا وليبيا في بداية عام ١٩٩٢ واتهام أمريكا لليبيا بأنها وراء تفجير طائرة البان أمريكان في لوكربي عام ١٩٨٨م، مع أن الذي حصل من الادعاء الأمريكي لا يشاركه أدنى دليل على صحته، ولكن أمريكا افتعلت تلك الادعاءات بعدما أعلن الليبيون عن تدشين النهر الصناعي العظيم في بلادهم. هذا النهر الذي =

أن ترى الصورة التي حصلت للاتحاد السوفياتي قائمة على أرضها، وهذا ما تسعى أمريكا إلى إبعاد شبحه عن واقع تاريخها وحالها.

لذلك، فإنه لا غرابة أن تقوم دول الاستعمار ممثلة في بريطانيا وأمريكا خاصة، بخلق النزاعات والفتن، ودفع دول المنطقة إلى حالات الحرب، كما حصل مع العراق وإيران، ومصر وإسرائيل، وسوريا وإسرائيل، والأردن وإسرائيل وما بين لبنان وإسرائيل» أو ما سيحصل في المستقبل القريب بين تركيا وسوريا أو سوريا وإسرائيل مرة أخرى، أو ما بين مصر والسودان، أو ما هو جاهز للحصول بين إيران ودول الخليج، أو ما بين اليمن والسعودية، أو اليمن وعُمان، أو البحرين وقطر... فكل هذه الدول استطاعت بريطانيا وأمريكا أن تجعل بينها من النزاعات الإقليمية والحدودية ما يكفي لإثارة أكبر حرب تتطلبها المصلحة الأمريكية أو البريطانية.

وإن ما حصل بين العراق والكويت ليس إلّا حالة من هذه الحالات، وإن أحد الأسباب التي أدت إلى حدوث ما حدث ليس بعيداً ـ مطلقاً ـ عن هذا النهج الأمريكي الفاضح.

= تستطيع معه ليبيا أن تغطي احتياجاتها من القمح والمواد الزراعية خلال ٥ سنوات، كما أنها خلال ١٠ سنوات مقبلة تستيطع أن تغطي احتياج الوطن العربي بأكمله من هذه المواد. وإني لأعتقد جازماً أن أمريكا لن تكتف بتسليم الليبيين المتهمين في تفجير الطائرة إليها بالحظر الجوي أو أي عقوبات لاحقة حتى تتمكن من تدمير هذا النهر الذي يؤثر على اقتصادها.

الفصل الثالث

١ . وأشعلت الحرب

٢ . شعارات حرب وإشارات مؤامرة

٣ . قوات الطرفين

٤ . الأسلحة الرئيسية

٥ . خطة العراق الدفاعية

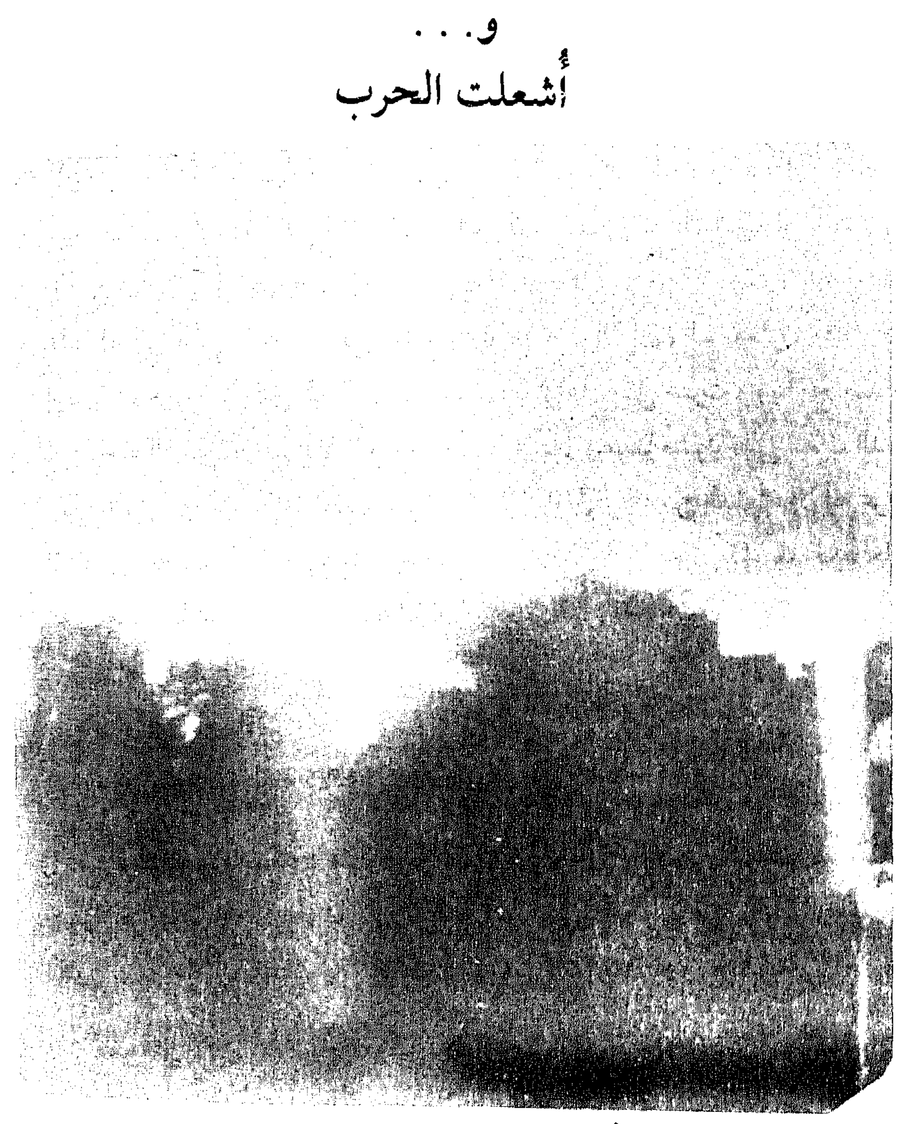
٦ . خطة الهجوم الأطلسي

أ . خطة القصف الجوي

ب . خطة الهجوم البري

ج . معركة الأطواق

و . . .
أُشعلت الحرب



الحرب كما أُشعلت في اللحظة الأولى «كانت عاصفة بالفعل»

نعم، أُشعلت، لأنها لم تشتعل بمحض صدفة أو بإرادة الطرفين معاً، بل دُفعت الأحـداث فيهـا دفعـاً؛ بحيث كان الـطرف العـراقي فيها إما مُكرهاً على إحداث الحدث، أو مُغرّراً به بشكل يرى فيه نفسه يخوض عُباب الخطأ، ويظن أنه يتّبع الصواب.

ومع أن كل المخلصين من بني العرب، وعلى رأسهم القيادة الأردنية والشعب الأردني، والقيادة اليمنية وشعب اليمن، وقيادة السودان وشعب السودان. . وحتى ليبيا أحياناً، بالإضافة إلى كل الشرفاء المخلصين من بقية الشعوب في العالم. . والذين حاولوا بكل جهدهم وإخلاصهم وما توفرت لديهم من مقدرات، إلى دحض هذه الصورة المروّعة عن سجل الواقع والتاريخ. . . إلّا أنهم لم يفعلوا، وذلك لأن إرادة التصميم على قتل العراق، كان صوتها يعلو على كل صوت، ويتأجج صداها في أرجاء الأرض، وتلقى آذاناً صاغية تسمع إليها، ونفوساً مشرئبة إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء ومحو صورة التطور والنماء. . في بلدٍ ليس له من الذنوب إلّا أنه عربي يقف في الصف المناهض للذين يريدون منه ـ ومن غيره، ومن كل بلد في العالم الذي سموهْ بالثالث ـ خياراً من ثلاثة:

- إما تبديد طاقاته.
- أو نهب خيراته.
- أو استعباد أهله وإذلاله.

«المـوت ولا المذلة» مثل عربي عريق ردّده رجل هاشمي شريف هو الملك حسين بن طلال خلال محـاولاته اليائسة لنبذ صورة الحرب قبل وقوعها، ومحاولة الذين أرادوا منه أن يقف غير الموقف المشرف الذي كان له. . ولشعبه.

وهو مَثَلٌ كان يردّده ـ بحُرقة وألم ـ كل شريف كريم مخلص يرى قهر شعبه ونهب خيرات بلده، وإذلال وطنه الكبير. . فلا تطاوعه نفسه وكرامته أن يخلُد إلى السكون، أو يُدخل رأسه في الطين، غير آبهٍ بالذي يصير حوله، كأنما الدائرة التي تدور على

غيره الآن لن تُطبق عليه بعد قليل؟!

وأُشعلت الحرب. . تلك الحرب التي ـ وإن اختلف المسمّون على تسميتها[1] ـ لا يمكن القول فيها إلّا أنها:

- ○ حرب الصليب على نهضة العرب.
- ○ حقد المستعمر على قوة العرب.
- ○ حُبّ الغرب في قتل نماء العرب.

فالحرب أُشعلت، بتخطيط لندن، وتبنّي واشنطن، ودعم فرنسا وإيطاليا، وتشجيع ألمانيا، ومقايضة موسكو، وخنوع بكين. . يطوف على هؤلاء كلهم ترويج الصهيونية العالمية والأرضية التي تطوف عليها ومن خلالها في حرم التفكك العربي والخوف المذهل على ذهاب السلطان أو المشيخة. . .

وأُشعلت الحرب. . وليس أدلّ على ذلك من القرار رقم ٦٧٨ الذي طبعته الأمم المتحدة بأمر بريطانيا وأمريكا، ورضا فرنسا، وموافقة موسكو، وقبول الصين. . وصدر على لسان مجلس الأمن الدولي باسم الشرعية الدولية!!

هذا القرار. . صدر بتاريخ **٢٩** تشرين ثاني **١٩٩٠**م ليُعطي الضوء الأخضر لدول الغرب بضرورة إخراج القوات العراقية من الكويت بأي وسيلة بما فيها وسيلة الحرب. ثم حدّد موعد ١٥ كانون ثاني **١٩٩١** موعداً نهائياً لا يكون للعراق بعده الخيار بيده لكي يخرج من الكويت بسلام!

---

(١) فقد سماها بوش «عاصفة الصحراء» لعلمه المسبق أنها ستعصف بكل ما على الأرض الكويتية والعراقية وبعض أرض الخليج. . وسماها الرئيس العراقي صدام حسين «أم المعارك» لظنه أنها ستكون المعركة التي تمثل معارك كل العرب ضد الغرب. وسماها السواد الأعظم من الناس «حرب الخليج». . . وكلهم صدق؛ لأنها عصفت بأرض الصحراء، وكانت أم معارك العرب ضد الغرب، وكانت حرب الخليج لأنها كانت تمثل في جوهر أسبابها صراعاً على الخليج.

ولقد أخطأ الذين ظنّوا أن مهلة الـ «٤٨» يوم هذه هي مهلة للعراق كي يفكر بالانسحاب وينسحب بالفعل وبالكامل من أرض الأمارة الكويتية. . فهي مهلة لم تكن لهذا السبب، وأن مجلس الأمن طبع أرقامها من غير أن يعرف أنها من أجل استكمال استعدادات الجيوش الأمريكية خاصة والغربية عامة في أخذ مواقعها وترتيب حساباتها وإعادة تنظيم وتنظير أجهزتها ورسم أهدافها على لوحات صواريخها الاستراتيجية بما يتناسب مع الأهداف المطلوبة في العراق.

وأقول «استكمال» تلك الاستعدادات، لأن القوات البريطانية والقوات الأمريكية كانت قد بدأت بالتحرك إلى أرض السعودية مع بداية التاسع من آب ١٩٩٠م، أي قبل موعد الـ «١٥» كانون/٢ بمئة وستين يوماً!!

ولو كان الأمر يجري بالشكل الطبيعي ونتيجة الانفعال والاستنكار على ما فعل العراق مع أمارة الكويت، لكان تسلسل الأحداث يقول إن القرار يصدر ثم القوات تتحرك. لكن الذي جرى هو العكس، وهذا أكبر دليل على أن الحرب قد خطط لها منذ زمن بعيد. . وأن الحرب يجب أن تكون على العراق. . وأن الحرب أُشعلت وما اشتعلت.

شعارات حرب
. . وإشارات مؤامرة

كان أول شعار رفعته قوات التحالف الغربي للترويج لحربها على العراق الناهض الرافض لمخططاتها وأساليبها في السيطرة على مقدرات الوطن العربي وخيراته، هو شعارٌ أكثر ما بان على صفحات وجهه من تقاسيم تومىء إليك للوهلة الأولى بعبارات «الحق ونبذ الظلم واحتلال أرض الغير بالقوة»! كأنما الذي حصل في الثاني من آب ١٩٩٠ لم يحصل مثيل له على الإطلاق. .

وما أن تراءى للذين يدقّون طبول الحرب على العراق، أن قناعة الرأي العام العالمي والعربي خاصة قد هضمت ـ بلعت الطعم بالأصح ـ مثل هذا الشعار الزائف، حتى خرجوا إلى العالم بشعار آخر أكثر خُبثاً وفتنة ومكراً على الشعوب العربية خاصة، وشعوب العالم عامة، ألا وهو شعار «الدفاع عن أرض السعودية من أي عدوان عراقي مرتقب»!

ولم تكن ـ بالطبع ـ الحقيقة كذلك، لا من حيث الخوف من هجوم عراقي ولا من حيث الرغبة في الدفاع عن أرض السعودية، فليس في تلك البقعة من الأرض القاحلة ما يهم الولايات المتحدة والصهيونية العالمية إلّا أمرين:

- المحافظة على وصول إمدادات النفط بيسر وأمان إلى مبتغاهم.
- وتحجيم جيش وقوة عربية يُخشى منها ذات يوم أن تكون في الصف المقابل للعصابة التي زرعوها في أرض كنعان.

ولما كانت صورة هذا الشعار أكثر بُهتاً من سابقه، لجأ القائمون على رفع يافطته في المحفل الدولي بإطلاق اسم «درع الصحراء» على العملية التي تم بموجبها نقل قواتهم إلى أرض نجدٍ والحجاز وما حولها . . ليومئوا إلى كل مهتم بالأزمة، أن هذه القوات لا تشكل بالفعل إلاّ درعاً حامياً للأرض السعودية من أي عدوان مرتقب!

ومن المفارقات العجيبة التي تدلل على زيف تلك الادعاءات، أن أياً من الذين زحفوا إلى أرض الحجاز لم يذكروا البتة أن هذه الجموع من قوات حلف شمال الأطلسي ستكون في يوم من الأيام بهدف الانقضاض على القوات العراقية وهي في مواقعها على أرض العراق أو الكويت.

وما أن استكملت القوات الغازية تحشدها واستعدادها واستعادة تنظير أجهزتها، ورسم الأهداف الجديدة على خرائط صواريخها من على أرض السعودية والخليج والبحار المحيطة به، حتى بدت صورة شعار آخر تظهر للعيان، ألا وهو شعار «تحرير الكويت»! ومن أجل هذا فقد أُعطيت تلك القوات مهلة تنتهي في ١٥/١/١٩٩١م كي تكون جاهزة لتنفيذ هذه المهمة.

وكما كانت الشعارات الامبريالية السابقة شعارات كاذبة مضلّلة، فإنه لم يخفَ على أحد أن هذا الشعار لم يكن أقل من سابقيه زيفاً ودجلاً، بدليل أنه ما إن أكملت القوات الغازية استعدادها لتنفيذ المهمة غير المعلنة حتى ذلك التاريخ - حتى أُطلق عليها اسم «عاصفة الصحراء»! وهو اسم ليس له تفسير غير النوايا الحقيقية التي سعت إليها قوات التحالف منذ بدء خلق الأزمة وافتعالها إلى دفع العراق إلى الوقوع في شركها . .

وما إن دنت ساعات بدء تنفيذ هذه العاصفة حتى كشف المخططون لهذه الحرب الهمجية عن هدفهم الحقيقي، والذي ورد على لسان زعيمهم جورج بوش، عندما قال «إن أقل شيء يمكن أن تقبله الولايات المتحدة وقوات التحالف، لا أقل

من (رحيل صدام حسين إلى الأبد) و (تخفيض جيشه) و (تدمير أسلحته الفتاكة)[1].

وهنا ـ بلا شك ـ ظهرت النوايا الحقيقية للعدوان على العراق.. أقصد الدفاع عن السعودية!!! وبسبب ذلك، فإن زعماء قوات التحالف وعلى رأسهم جورج بوش راحوا يسارعون إلى تجميل هذا الاعتراف الصارخ بنواياهم تجاه العراق، بشعار جديد ظنوا فيه أنه يُخفي وجه الحقيقة؛ فوقف جورج بوش يوم ١٥/١/١٩٩١م في مؤتمر صحفي يقول «إننا لسنا طرفاً في نزاع مع الشعب العراقي، وإنما خلافنا مع (الديكتاتور) العراقي فقط»!

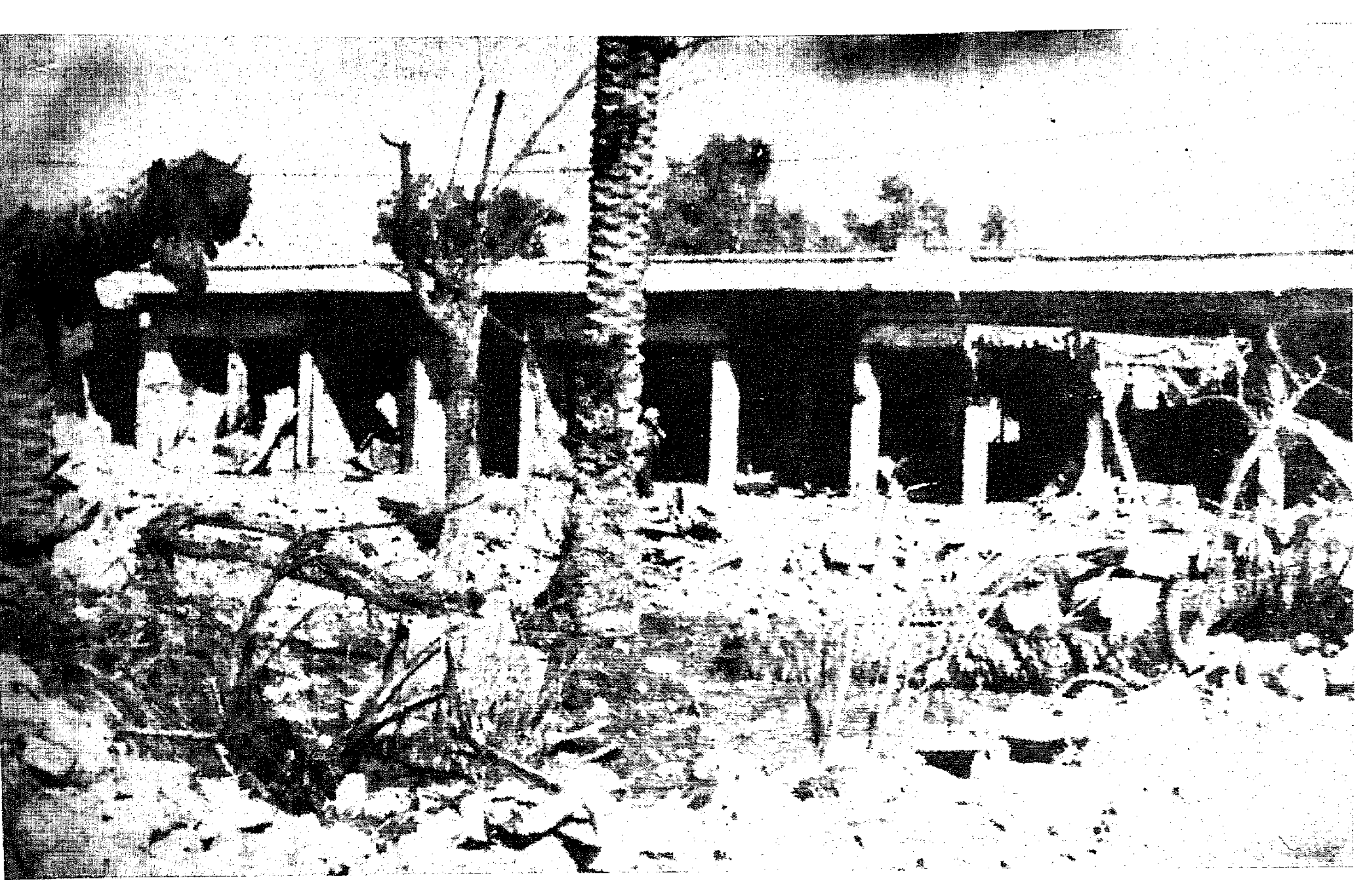
ولو كان هذا الكلام قريباً إلى الحقيقة والصدق لما كان كل شيء على الأرض العراقية هدفاً مستباحاً للقصف الهمجي لطائرات وصواريخ قوات التحالف.. حتى إن أشجار النخيل لم تسلم من حقدهم.. وليس لها ذنب إلّا أن فيها دلالات على كبرياء وشموخ العراق والعراقيين.

□

هذه هي أهم الشعارات التي حاولت الولايات المتحدة ـ كزعيمة لقوات التحالف ـ أن تنادي بها... وليس المهم انفضاح زيفها وحسب، ولكن هناك إشارات صعدت إلى أعلى السماء تريد أن تستنشق الهواء الطلق بعد أن خنقتها روائح مؤامرة أُحيكت في الظلام، وكان ليس لها هدف إلّا القضاء على مقدرات وزعامة العراق.

---

(١) من المؤتمر الصحفي الذي عقده بوش يوم ٢/١١/١٩٩٠، وكان هذا التصريح جواباً على سؤال صحفي «ماذا لو أعلن صدام من انسحابه قبل ١٥/١/١٩٩١؟» والغريب في ذلك كله، أن ذلك يجري والعرب ليس لهم إلا أن يسمعوا أو يرددوا.



يا ترى، هل هذه الأشجار كانت من ضمن خلاف بوش مع «الدكتاتور» العراقي «فقط»!

وإن أول تلك الإشارات كانت تلك الرسالة الرسمية المرسلة من المدير العام للإدارة العامة لأمن الدولة في الكويت العميد فهد الأحمد الفهد إلى الشيخ سالم الصباح وزير الداخلية والمؤرخة بتاريخ ١٩٨٩/١١/٣٠ تحت الرقم س/٥٤٠ والتي عثرت عليها القوات العراقية بعد دخولها إلى الكويت في مقر وزارة الداخلية الكويتية، وهذا أهم ما جاء فيها:

١ ـ تنفيذاً لأمر سموكم الكريم أثناء اجتماعنا معكم بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٢ فقد قمنا والعقيد إسحاق عبد الهادي شداد مدير مباحث محافظة الأحمدي بزيارة إلى مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، حيث تم الاتفاق مع القاضي وليم وبستر مدير عام وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على ما يلي:

١) يتكفل الجانب الأمريكي بتدريب العناصر التي اخترناها كي تكون مسؤولة عن حماية سمو الأمير جابر أمير البلاد وسمو ولي عهده الشيخ سعد العبدالله حفظه الله. بحيث تتم التدريبات والتأهيلات في مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد حددنا العدد ١٢٨ فرداً للاستفادة من بعضهم في مهمات خاصة بالعائلة الأميرية، خصوصاً خدمة سمو ولي العهد الكريم.

٢) اتفقنا والجانب الأمريكي على تبادل الزيارات وعلى كافة المستويات بين إدارة أمن الدولة ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية **وتبادل المعلومات حول إيران والعراق في مجال التسليح والبنية الاجتماعية والسياسية.**

٣) ....

٤) ....

٥) اتفقنا والجانب الأمريكي على أهمية الاستفادة من الوضع الاقتصادي المتدهور في العراق للضغط على حكومته للعمل على ترسيم الحدود معها، وقد زودتنا وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتصورها حول سبل الضغط المناسبة

بحيث يبدأ التعاون بيننا وبينهم على شرط أن يكون تنسيق هذه الفعاليات على مستوى عال.

٦) . . . . . .

٧) . . . . . .

٨) لقد وضع الجانب الأمريكي تحت تصرفنا هاتفاً خاصاً لغرض تنظيم عملية التبادل السريع في الآراء والمعلومات التي لا تتطلب اتصالات ورقية، وهو هاتف خاص بالقاضي وبستر، ورقمه ٢٠٢/٦٥٩/٥٢٤٦.

بانتظار توجيهات سموكم حفظكم الله.

«التوقيع»

العميد فهد الأحمد الفهد

أما ثاني تلك الإشارات والتي جاءت أثناء المباحثات التي تجري بين العراق والكويت من أجل حل المشاكل القائمة بينهما، وقد تدخل فيهما الزعماء العرب كالزعيم المصري حسني مبارك، وجلالة الملك الحسين ملك الأردن، الذي كان له الدور الأكبر في تلك الوساطات والتي انتهت بالاتفاق بين الجانب الكويتي والجانب العراقي على الاجتماع بالمملكة العربية السعودية بحيث يتم حسم الخلاف بين الجارتين، ومن أجل ذلك فقد قام الملك فهد بتوجيه الدعوة إلى الأمير جابر والرئيس العراقي صدام حسين لكي يتم الحضور أو إرسال مندوب عن كل منهما.

وكانت الدعوة على شكل برقيات أرسلها عاهل السعودية إلى كل من العراق والكويت لكي يتم الاجتماع المتفق عليه في جدة يوم ٣١ أيار ١٩٩٠.

ومما تجدر الإشارة إليه هو تلك المشروحات التي وجدت على برقية الدعوة السعودية إلى أمير الكويت، موجهة إلى الشيخ سعد العبدالله وتحمل توقيع الشيخ

جابر نفسه، وهذا نصها بالحرف:

الشيخ سعد:

نحضر الاجتماع بنفس شروطنا المتفق عليها، والأهم بالنسبة لنا مصالحنا الوطنية، وما ستسمعونه من السعوديين والعراقيين عن الأخوّة والتضامن العربي لا تصغوا إليه. كل واحد منهم له مصالحه.

السعوديون يريدون إضعافنا واستغلال تنازلنا للعراقيين لكي نتنازل لهم مستقبلاً عن المنطقة المقصودة. والعراقيون يريدون تعويض حربهم من حساباتنا.

لا هذا يحصل ولا ذاك. وهو رأي أصدقائنا في مصر وواشنطن ولندن. أصروا على مباحثاتكم. نحن أقوى مما يتصورون[٢].

التوقيع

«جابر»

والغريب في هذه التوجيهات الأميرية، ليس الإصرار الكويتي على عدم إعطاء أي وعد أو حل للجانب العراقي، بل تلك الإشارة التي جاءت في نهاية تلك المشروحات والتي تدلّ على وجود اتفاق «مسبق» مبيّت مبطّن بين كل من مصر[١] وأمريكا وبريطانيا والكويت على ضرورة إيقاع «الصيد» العراقي في الشَرَك المنصوب له!!

وثالث هذه الإشارات كانت الوثيقة التي عثر عليها العراقيون بعداجتياحهم

(١) وهذا الأغرب في القضية كلها. فالرئيس حسني مبارك كان يُبدي وداً وتعاوناً مع العراق لا مثيل له، وانتهى الأمر إلى مجلس التعاون العربي، ومطالبة كل من العراق والأردن بضرورة عودة مصر إلى الجامعة العربية!

(٢) رقم البرقية ٣٥٣ تاريخ ١٤١١/١/٧ هـ.

للكويت في مكتب وزير الخارجية الكويتي، وهي عبارة عن تقرير موقع من السفير الكويتي في بروكسل «أحمد الإبراهيم» والموجه إلى وزير الخارجية الكويتي، أهم ما جاء فيه:

١ ـ ....

٢ ـ ....

٣ ـ أثناء تباحثي مع السيد ج. أ. ماكوين مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط، وصلنا إلى الحقائق التالية:

أ . إن أساليب الضغط على العراق التي افترضها سمو أمير البلاد المفدى بما فيها السعي الأمريكي والغربي لتدمير الأسلحة العراقية المتطورة، وجد حماساً لدى الولايات المتحدة، لأنه أول طلب عربي بهذا الخصوص.

ب . تختلف الإدارة الأمريكية في النقطة الثانية مما ورد في رسالة أمير البلاد التي يعتقد بها في أن الضغوط الاقتصادية لا تكفي لوحدها في توقيف الصناعة العسكرية العراقية المتطورة، حيث تعتقد الولايات المتحدة أن بإمكان هذه الضغوط أن تؤثر في نمو الصناعات العسكرية العراقية إذا لعبت كل من مصر والسعودية[١] الدور المتفق عليه[٢].

.... التوقيع

.... «السفير أحمد الإبراهيم»

سفير دولة الكويت في بلجيكا

أما رابع هذه الإشارات والذي جاء وكأنه بيد فنان تضع اللمسات الأخيرة على لوحة قد أعياه النَصَب في تحديد ملامحها وترسيم ألوانها.. ذلك هو القرار الذي تبنته كل من مصر والسعودية وقدمته إلى مجلس الجامعة العربية أثناء انعقادها على

---

(١) وهذه إشارة أخرى عى اتفاق مسبق مع مصر على العراق.

(٢) تقرير رقم ١٠٢/٩٠ تاريخ ٣١ حزيران ١٩٩٠.

مستوى القمـة يوم ١٠/٨/١٩٩٠ في القاهرة والذي جاء فيه:

. . . .

. . . .

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ إدانـة العدوان العراقي على دولة الكويت الشقيقة وعدم الاعتراف بقرار العـراق ضم الكـويت إليه ولا بأي نتـائج أخرى مترتبة على غزو القوات العراقية للأراضي الكـويتية، ومـطالبة العراق بسحب قواته منها فوراً وإعادتها إلى مواقعها السابقة كما كانت عليه قبل ١/٨/١٩٩٠.

٤ ـ . . . .

٥ ـ . . . .

٦ ـ . . . .

٧ ـ . . . .

انتهى القرار[1].

ومن المفارقات العجيبة في هذا القرار والتي تدلّ على كامل التنسيق بين مصر والسعودية وأمريكا في التخطيط لتدمير العراق، تلك هي العبارة الأخيرة التي وردت في البنـد الثالث من هذا القرار والتي تشير إلى ضرورة عودة القوات العراقية إلى مواقعها (أي الانسحاب من الكويت) التي كانت عليها قبل ١/٨/١٩٩٠.

ولقد صدق وزير الخارجية الأردني عندما أشار على جلالة الملك حسين أثناء تسلمه لمشروع القرار صباح العاشر من آب ١٩٩٠ قبل انعقاد الجلسة فقال «إن هذا القـرار متـرجم» والـدليل على ذلـك أن القـوات العـراقية دخلت الكـويت في الثـاني من آب

---

(١) كما ورد في الكتاب الأبيض الصادر عن حكومة المملكة الأردنية الهاشمية.

١٩٩٠ ، لكنها بتوقيت الولايات المتحدة دخلت بتاريخ الأول من آب ١٩٩٠ ، وهذا ما لم ينتبه إليه مترجمو القرار!!

هذه الإشارات الأربع ، هي فيض من غيض إشارات ودلائل كثيرة وعديدة كان قد تم الترتيب والإعداد لها بشكل دقيق ومنسق، وكلها تقود إلى حقيقة واحدة تقول للعراق: أن لا بدّ أن تقع في الشرك الذي نُصب لك.

□

وبالفعل، كان التخطيط دقيقاً، والحبك مُنسقاً، والصيد سميناً. . . والعراق حزيناً، ومعه كل المخلصين من بني العرب.

ولمّا كانت الحرب قادمة لا بدّ منها، ولكل حرب أسبابها وشعاراتها، فقد رأى العراقيون أن لا بدّ وأن ينادوا بالشعارات التي تمثل هَمّ الشارع العربي، وتُعبّر عن إحساس كل الذين يعانون من مأساة الانقسام والفقر والذل لحياة العرب. . فكانت شعاراتهم:

- بترول العرب للعرب.
- المساواة بين فقراء وأغنياء العرب.
- الجهاد المقدس عند مسلمي العرب وغير العرب.

ولقد كان الرئيس العراقي صدام حسين يؤكد على هذه الشعارات في كل خطاباته ومواقفه، ولعل السؤال الذي طرحه على أحد الجنود الكويتيين الذين انضموا إلى قوات العراق أثناء زيارة ميدانية له إلى الكويت بعد الاجتياح، حيث قال:

«كم الراتب الذي كنت تتقاضاه من حكومة جابر؟».

فأجاب الجندي «٦٠٠ دينار كويتي». فردّ عليه الرئيس العراقي «أتدري أن راتب الجندي مثيلك على الواجهة الأردنية الإسرائيلية ٦٠ ديناراً فقط!. وقد أراد بذلك أن يشير إلى هول الفارق بين أغنياء العرب وفقرائهم.

قوات الطرفين

مما لا يمكن لأحدٍ أن يشك فيه هو أن القوات التي تجمعت بالصف المقابل للعـراق، هي قوات لم يسبق حشـدهـا بمثل هذه الكثافة والعدد والعُدة والعتاد، بالإضـافـة إلـى أحـدث الـتـقنيات، سواء في التسليح أو التنـظير أو تقـديم المعلومات. . . كانت جيوشاً لا نستطيع أن نقول فيها أو نسميها جيوشاً جرارة، ولا حشوداً عملاقة. . لأنها ـ بلا أدنى شك ـ كانت أضخم من ذلك الوصف بكثير.

ولقد بدأت هذه الحشود بـ ٣٤ طائرة من طراز ف ١٥ أمر الرئيس الأمريكي بحركتها إلى السعودية في الثاني من آب «ليلة الغزو العراقي للكويت» كتعبير عن استنكـار الـولايات المتحدة على ما فعل العراق، وجرّ السعودية إلى إصدار قرار بالموافقة على نزول قوات أجنبية على أراضيها.

وما إن أشرقت شمس اليوم السادس من آب على المغيب حتى تغير أو تحول هذا «التعبير عن الاستنكار» إلى «ضرورة الدفاع عن الأراضي السعودية». . ثم إلى «ضـرورة تحـرير الكـويت». . . وأخيراً، إلى ضرورة سحق القـدرات العسكـرية العراقية والتقنية والصناعية، دون أدنى رحمة. . أو أدنى وجل.

ولقد كان قوام هذه القوات على النحو التالي:

● **القوات الأمريكية:**

١ ـ **قوات برية:** ٦ فرق (مدرعة، آلية، محمولة جواً) بمعدل كل فرقة ١٨ ـ ٢٠



جانب من الحشد الثلاثيني ضد العراق

ألف جندي ، أي ما مجموعه ١٠٨ ـ ١٢٠ ألف جندي ، وهي الفرق التالية أسماؤها :

- الفرقـة ٨٢ المحمولة جواً 82nd AB Div
- الفرقة ١٠١ المحمولة جواً 101 of AB Div
- الفرقة المدرعة الثالثـة 3rd Cav Dir
- الفرقة المدرعة الأولـى 1st Cav Div

وقد سحبت ـ أي الفرقة المدرعة الأولى ـ من القوات المتمركزة في ألمانيا الغربية .

- الفرقة ٢٤ الآليـة 24th Mech. Div
- الفرقة ٣١٤ الآلية 314 Mech. Div
- قوات الجيش السابع الأمريكي لوائي مشاة + لوائين مدرعين أضيفت في الفترة الأخيرة قبل بدء الحرب .

٢ ـ القوات الجوية .

١ ـ في السعودية :

× سربين من طائرات ستيلث ف١١٧ (طائرة الشبح) كل سرب ٢٢ طائرة .

× ١٤٨ طائرة مقاتلة وهي :

- ٥٠ طائرة ف ١٥
- ٤٨ طائرة ف ١٦
- ٥٠ طائرة ف ١٤ إيجل

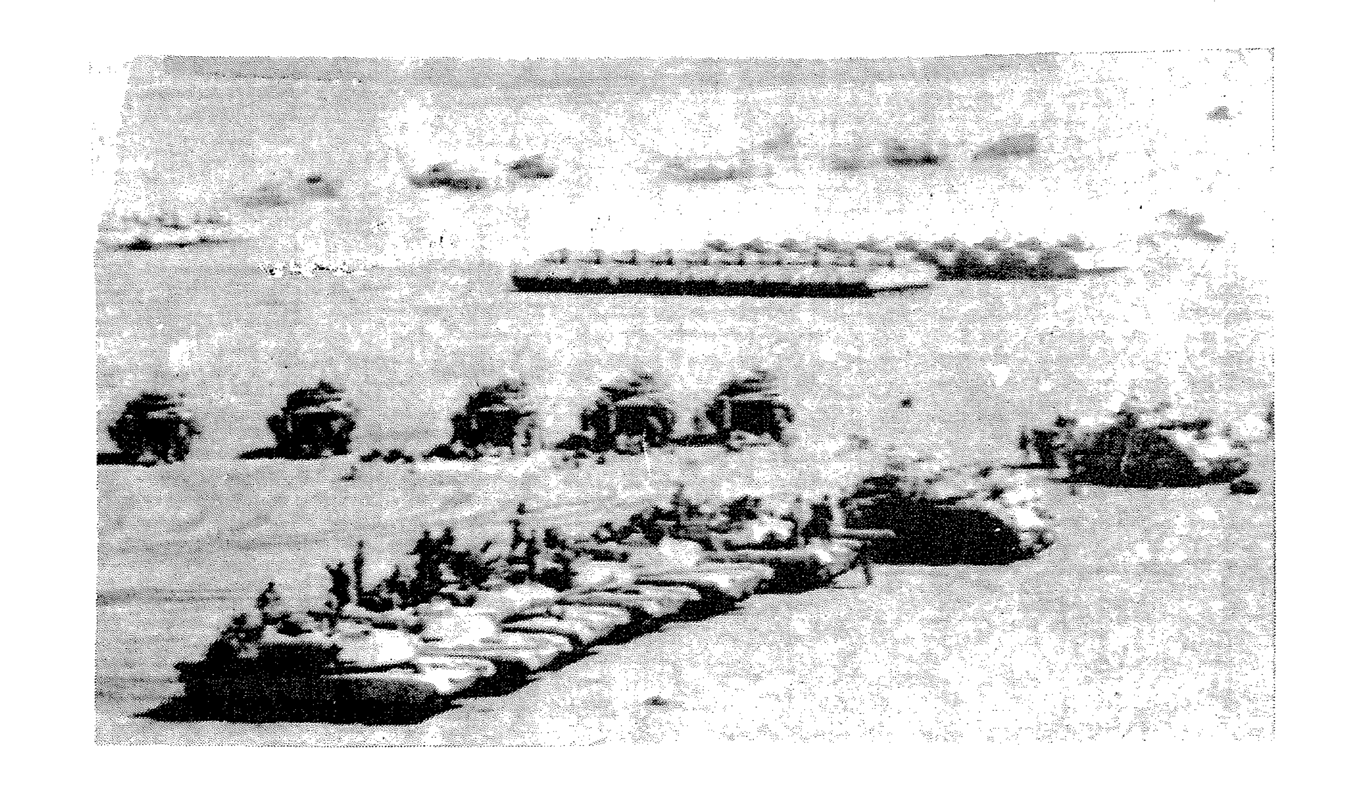
× سرب من طائرات الاستطلاع Rc135

× سرب من طائرات الأواكس .

× سرب من طائرات التزويد بالوقود .

× ٤ أسراب من الطائرات العمودية وهي :

- سرب كوبرا .
- سربين أباتشي .
- سرب بلاك هوك .



دبابات وعربات جند أمريكية في الصحراء السعودية
(ضمن قوات درع الصحراء)

٢ ـ **في الإمارات:** ١٦ طائرة نقل C130

٣ ـ **في قطر:** سرب من طائرات ف١٦ (١٢ طائرة).

٤ ـ **في تركيا:** × سربين من طائرات ف١٦ (١٢ طائرة).

× **أسراب أخرى تتمركز في قاعد أنجيرليك التركية.**

٥ ـ سرب من طائرات ب ٥٢ الاستراتيجية تتمركز في قواعد أوروبية وقواعد في المحيط الهندي.

٣ ـ قوات بحرية:

١ ـ في الخليج والبحر الأحمر:

× ٤٥ قطعة بحرية مؤلفة من (فرقاطات، مدمرات، طرادات + حاملات صواريخ.

× ١٠ قطع بحرية مماثلة في البحر الأحمر.

× قطع إنزال بحري غير معروف عددها.

× ٣ حاملات طائرات (على متنها ٢٢٠ ـ ٢٤٠ طائرة من طراز ف١٥، ف١٦، ف١٤، ف١٨، ف١١١) وهي: حاملة الطائرات ساراتوجا، اندبندس، أيزنهاور.

× سفينة قيادية عدد ٢.

× ٥ كاسحات ألغام بحرية.

× عدد غير معروف من سفن الإمداد والنقل والمستشفيات.

× ٣٤٥٠٠ جندي من مشاة الأسطول.

ثم عززت هذه القوات فيما بعد بحاملات الطائرات: تيودور روزفلت، أمريكا، ميدواي، ورانجر وعلى متنها ٣٠٠ ـ ٤٠٠ طائرة. بالإضافة إلى حاملة الصواريخ ميسوري وويسكنستون.

طائرة ف ١١٧ أو ما يعرف بالشبح

طائرة ب - ٥٢ الاستراتيجية الأمريكية

٢ ـ في شرق البحر المتوسط :

× حاملة الطائرات جون كينيدي .
× ١٢ قطعة بحرية .
× وحدات من صواريخ بحر ـ أرض وصواريخ مقاومة الصواريخ .

● **القوات البريطانية :**

قوات برية :

١ ـ في السعودية ـ لواء مشاة (٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ جندي)
ـ لواء مدرع (٤٠٠٠ جندي) .
٢ ـ في البحرين ـ كتيبة مشاة (٦٠٠ جندي) .

قوات جوية :

١ ـ في السعودية ـ سرب جاجوار (١٢ طائرة) .
ـ سرب تورنادو (١٢ طائرة) .
٢ ـ في عمان ـ سرب تورنادو (١٢ طائرة) .
٣ ـ في البحرين ـ سرب تورنادو (١٢ طائرة) .

قوات بحرية :

١ ـ فرقاطتان .
٢ ـ مدمرة واحدة . } تتمركز في الخليج
٣ ـ حاملة طائرات (نيمرود) .
٤ ـ ٣ كاسحات ألغام .

● **القوات الفرنسية :**

قوات برية :

١ ـ كتيبة مشاة برمائية.
٢ ـ قوات إسناد مختلفة.
٣ ـ فيلق مدرع مع أسلحة إسناده وخدماته.

قوات جوية:

١ ـ سرب من طائرات الاستطلاع (١٢ طائرة).
٢ ـ (٥ ـ ٨) أسراب من طائرات سوبر اتندار.
٣ ـ (٣ ـ ٤) أسراب من طائرات ميراج ٢٠٠٠.

- **قوات أوروبية:**

× ٤ فرقاطات.
× ٤ طرادات.
× **عدد غير معروف من سفن الإمداد.**
× عدد غير معروف من عربات التطهير والكشف الكيماوي.
× الجيش التركي الثاني المتمركز على الحدود العراقية وقوامه ٨٠ ـ ٩٥ ألف جندي.

- **قوات عربية:**

× ٤ ـ ٦ كتائب صاعقة.
× لواء اقتحام جوي.
× ٢ لواء مشاة.
× فرقة مشاة آلية.
× فرقة مدرعة.
× ٢ لواء مدفعية صواريخ.
× فوج مقذوفات مقاومة دبابات.
× ٣ ـ ٤ أسراب من الطائرات المصرية (مختلفة).

● **قوات إسلامية:**

× **٢** لواء مشاة (٦٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ جندي).

× كتيبة مشاة سنغالية.

● **قوات خليجية:**

ويقدر قوامها بـ ١٩٥,٠٠٠[1] جندي و **١٥٧٣** دبابة، **٢٨٧٢** آلية مدرعة و **١٨٤٥** قطعة مدفعية بالإضافة إلى عدد من الطائرات المقاتلة والعمودية وصواريخ الأرض ـ أرض والقطع البحرية. وهذه الإحصائية تشمل كافة دول مجلس التعاون الخليجي بما في ذلك عُمان.

وفيما يلي جدول يبين مقارنة القوى بين العراق وقوات التحالف الغربي بما فيها دول الخليج العربي التي شاركت في الحرب حتى شهر تشرين ثاني ١٩٩٠م، وذلك حسب معلومات مركز الدراسات الاستراتيجية/عمان، ومركز الدراسات الاستراتيجية لندن، ومجلة الدفاع المصرية.

---

(١) بما فيها القوات العمانية.

جدول مقارنة القوات بين الطرفين

النوع	العراق	دول التحالف غير الخليجية	دول الخليج	المجموع
١ . قوى بشرية	٩٥٠,٠٠٠	٥٠٨,٠٠٠	١٦٥,٥٠٠	٦٧٣,٥٠٠
٢ . دبابات	٦٣٠٠	٣٧٧٤	١٠٣٤	٤٨٠٨
٣ . عربات مدرعة	١١,٠٠٠	٧١٠٨	٢٨٤٣	٩٩٥١
٤ . قطع مدفعية	٥٤٠٠	١٩٩٠	١٧٤٦	٣٧٣٦
٥ . طائرات مقاتلة	٧٠٠	١٥٠٠	٣٠٢	١٨٠٢
٦ . طائرات عمودية	٢٨٦	١٢٠٠	٨١	١٢٨١
٧ . طائرات قيادة وسيطرة	٣	٣٠	١	٣١
٨ . حاملة طائرات	-		٦	٦
٩ . مدمرات	-	١٣	-	١٣
١٠ . بوارج بحرية	-	٢	-	٢
١١ . فرقاطة	٥	٢٩	٨	٣٧
١٢ . زورق صواريخ	٨	-	٣٠	٣٠
١٣ . حاملة صواريخ	-	٢	-	٢
١٤ . سفن إنزال	٦	غير معروف	٢	؟
١٥ . طائرات عمودية بحرية	١٤	غير معروف	٤٦	؟
١٦ . قواعد صواريخ	(٢٠٠ منصة)	-	-	

كمـا يبـدو من هذه الإحصـائية التي جاءت وفقاً لمعلومات مراكز الدراسات الاستـراتيجية، فإن العـراق تفـوّق على قوات التحـالف بالقـوى البشرية والقوات الأرضية، بينما تفوقت قوات التحالف على العراق بالقوات الجوية والقوات البحرية إضافة إلى اعتمادها على النوعية لا على الكمية، سواء بنوعية القوات الجوية ـ التي شملت أحدث أنواع الطائرات مثل طائرات ف١١٧ و ف١١١... و ب٥٢ ـ أو بنوعية القوات الأرضية التي شملت دبابة البرامز، ومدفع ١٧٥ ملم ـ أو بنوعية الذخائر ـ التي كان من أهمهـا وأفتكهـا القنـابـل[1] الليزرية والقنـابـل والصواريخ النووية التكتيكية، والتي ما زال جنوب العراق يعاني من إشعاعاتها الذرية. كلها حشدت من أجل هدف «واحد» هو القضاء على العراق: شعباً، وحضارة، وعلماً، وتقدماً، وقيادة.. بالإضافة إلى هدف هو أكبر وأعمق وأكثر حقداً ونقمة.. ألا وهو ترك أثر نفسي مُحبط في نفوس الأجيال العراقية والعربية على امتداد السنين القادمة.

● **القوات العراقية:**

كانت المشكلة الأكثـر تعقيداً تواجهها الاستخبارات الغربية مع العراق، هي عدم إمكانية خرق العراق أمنياً بسهولة، كما هي الحال مع باقي دول المنطقة، فقد عُرف عن الشعب العراقي أنه الأكثر تحفظاً في الحديث عن أموره الخاصة، سواء أكان عسكرياً أو مدنياً. إلى درجة أن أحد المعتادين على زيارة بغداد يقول لي أثناء حديث لنا عن العراق وشعب العراق «... لا أستطيع أن أصف لك كيف يفكر هذا الشعب.. تسألهم عن مكان ما أو حانة معينة... فقليل قليل منهم الذي يمكن أن يهديك إلى ضالتك، إما أن يقول لك: لا أعلم، وإما أن يصف لك مكاناً غير الذي تنشده».

---

(١) حسب إحصائية أريك لوران في كتابه «عاصفة الصحراء»، فإن ٨٨,٥٠٠ طناً من القنابل حُشدت، وتم إلقاء ٢٦٣٦٣ طناً منها على أهداف عراقية.

يقول لي أحد الضباط العراقيون التقيت به ذات مرة «أنتم أيها الأردنيون، مشكلتكم أنكم لا تقتصروا الإجابة على قدر السؤال عندما تُسألون عن أمر ما فقط، بل تذهبون إلى محاولة تقديم ما هو أكثر من المطلوب، يدفعكم إلى ذلك حب التظاهر بالمعرفة. وهو أمر غير مقبول بالنسبة لنا نحن العراقيون».

ولذلك، فإن قوات التحالف، وخاصة أمريكا، كانت المعلومات لديها عن قوة العراق وحجم الجيش العراقي وتقنياته وصواريخه ومفاعلاته... وقوته الجرثومية والكيماوية.. هي معلومات متضاربة، غير متكاملة، الأمر الذي دفعهم إلى هذا الحشد الذي أسلفنا الحديث عنه.

ولكن أكثر المعلومات دقة عن حجم القوة العسكرية العراقية كانت تقول أن الجيش العراقي كان يتألف من ٥٥ ـ ٦٠ فرقة عسكرية تدعمها كافة أسلحة الإسناد والخدمات، وهي موزعة على النحو التالي:

١. سلاح الدروع ٦٣٠٠ دبابة، ٥٥٠٠ دبابة عاملة والباقي احتياط.
٢. سلاح المدفعية ٥٤٠٠ قطعة مدفعية وراجمة/ ٣٥٠٠ عاملة.
٣. سلاح المشاة ١١٠٠٠ عربة مدرعة، ٨١٠٠ عاملة.
٤. سلاح الصواريخ ٤ ألوية متحركة و ٤ قواعد ثابتة.
٥. سلاح البحرية ـ ٥ فرقاطات.
ـ ٨ زوارق بحرية.
ـ ٢٦ زورق مدفعية.
ـ ١٤ طائرة عمودية.
ـ ٦ سفن إنزال.
٦. القوات الجوية ـ ٥٠٠ طائرة مقاتلة حديثة.
ـ ٢٠٠ طائرة مقاتلة قديمة.
ـ ٢٤٠ طائرة عمودية حديثة.

ـ ٦٠ طائرة عمودية قديمة.

٧. القوة البشرية ـ ٩٥٠ ألف جندي.

هذا هو حجم القوى العسكرية العراقية التي وقفت قبالة الحشد الأطلسي الثلاثيني، وهي قوة معززة بجيش شعبي مقدر بنصف مليون جندي بالإضافة إلى أنها تحوي على قوات الحرس الجمهوري التي تقدر بـ ١٨ ـ ٢٥ فرقة.

الأسلحة الرئيسية
المستخدمة في الحرب

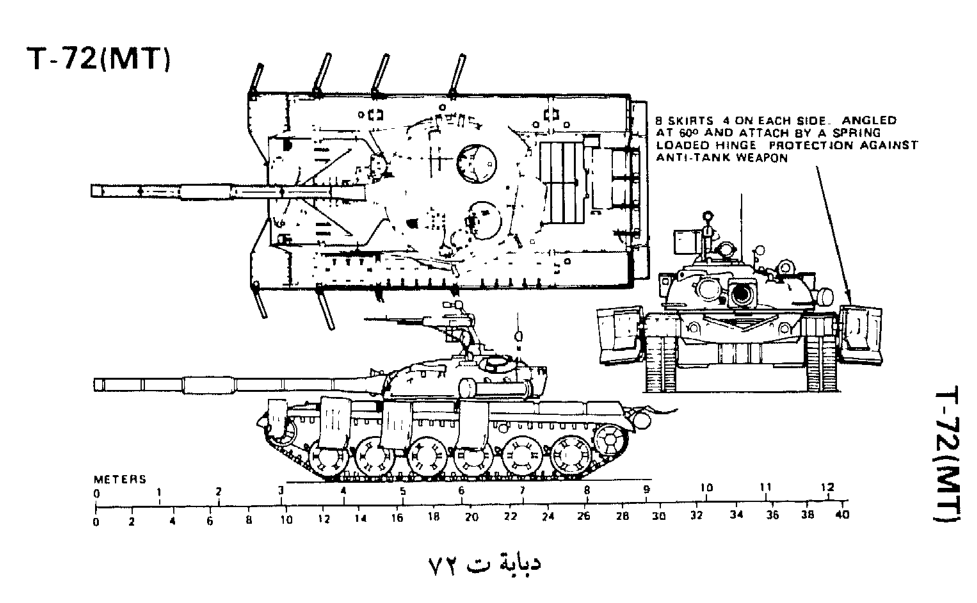
كانت الدقة العالية والتقنية المتطورة، وأحدث أساليب المراقبة والإصابة، هي أهم ما ميّز تلك الأسلحة الرئيسية التي تم استخدامها في حرب الخليج، بالإضافة إلى ميزة حساسة وهامة بالنسبة لجندي المعركة وقائدها، وهذه الميزة هي قوة الفتك **والتدمير لتلك الأسلحة.**

وقد يقال إن الأسلحة التي ضمتها أو استخدمتها جيوش التحالف هي أكثر تعقيداً وأدق إصابة وأكثر تقنية من الأسلحة التي كانت بحوزة العراقيين، إلا أن الحقيقة تُبدي أن مثل هذه الافتراضات كانت ضعيفة إلى حدٍّ ما، فهناك على سبيل المثال، وعلى مستوى سلاح الميدان دبابة البرامز M1A1 التي كانت بحوزة الجيش الأمريكي هي أعقد وأضخم وأدق دبابة عرفتها الصناعة الحربية الحديثة، وهي دبابة تملك قدرة رهيبة على الحركة والمناورة وحماية جيدة من قذائف الدرع، بالإضافة إلى أنها تملك القدرة على رماية قذائف نووية تكتيكية.

وبالمقابل، فإن دبابة ت ـ ٧٢ العراقية الاستخدام، السوفياتية الصنع، كانت تملك مواصفات، وتخفي أسراراً أقوى بكثيرمن دبابة البرامز الأمريكية.

كذلك الحال بالنسبة للقوات المدفعية والصاروخية، فقد كانت مدفعية عيار ١٥٥ ملم الأمريكية هي أعقد أسلحة المدفعية الأمريكية، وذلك لقدرتها على رماية قذائف نووية تكتيكية وتحقيق إصابات دقيقة وإحداث تدميرات هائلة، فإن العراق

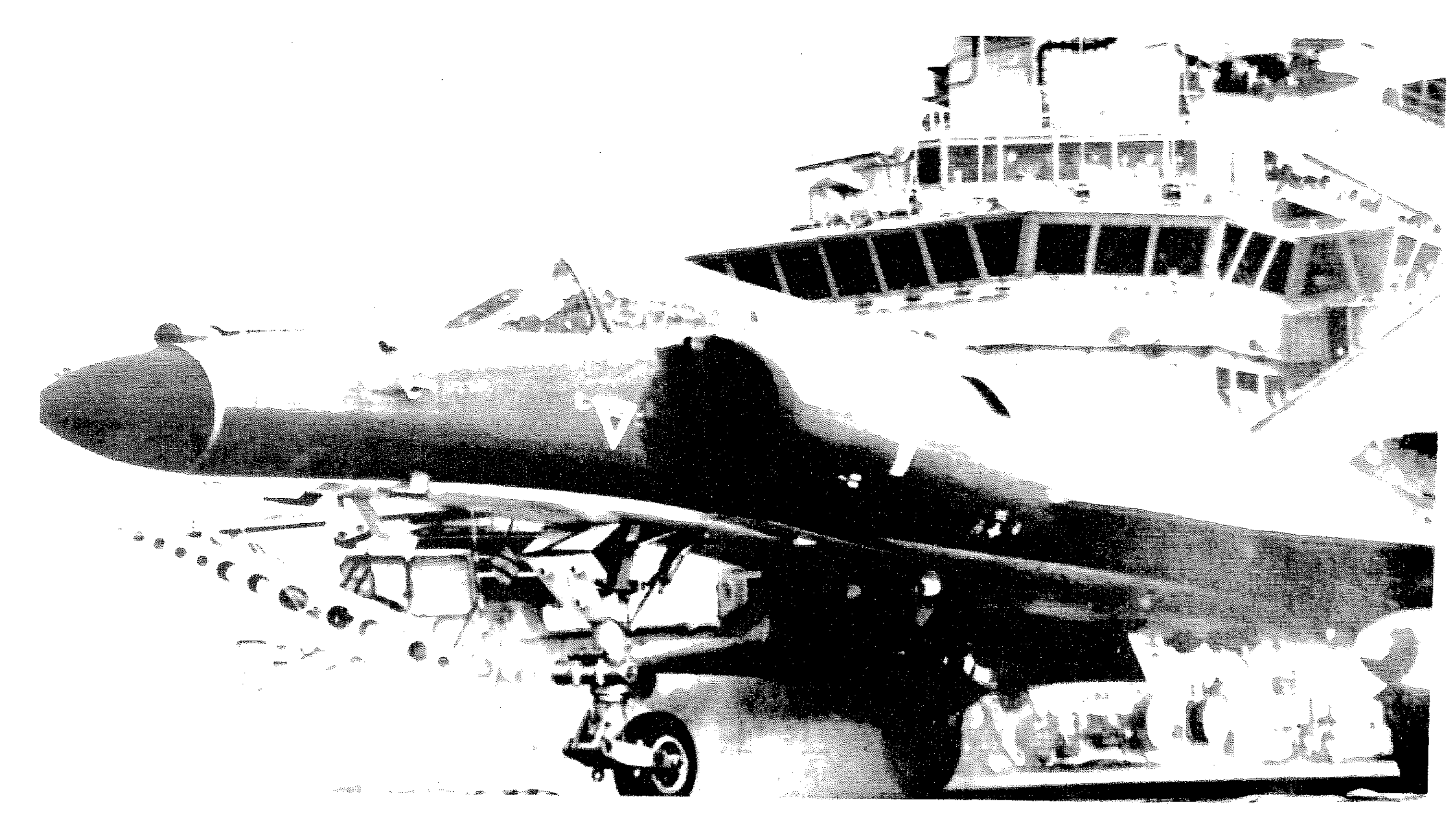
كان يملك بالإضافة إلى قطع مدفعيته المختلفة صواريخ أرض أرض قصيرة المدى من الأنواع المختلفة التي تستطيع تحقيق إصابات عالية في الدقة وتدميرات لا بأس بها.



دبابة ت ٧٢

والحال على مستوى الطيران، كان لا يختلف كثيراً عن ذلك، فطائرات ف١٤، ف١٥، ف١٦، ف١٨، والتورنادو، والسوبر اتندار، والميراج ٢٠٠٠ كانت تقابلها طائرات من نوع ميج ٢١، ٢٣، ٢٩، وطائرات الأواكس كانت تقابلها طائرة عدنان١ وعدنان٢، والطائرات العملاقة ب٥٢ كانت تقابلها طائرات سوخوي ـ ٢٤.

كذلك الحال بالنسبة للصواريخ المتوسطة المدى، فقد كانت صواريخ توما هوك وكروز تقابلها صواريخ من نوع الحسين والعباس وسجيل والعابد وصواريخ سكود ـ ب.



طائرة السوبر اتندار الفرنسية، كان لها دورها في حرب الخليج

ومما لا شك فيه أن قوات جيوش التحالف كانت تتفوق في بعض الطائرات، كطائرات الستيلث ف١١٧ كطائرة خفية ليس لها مثيل في العالم، كما كانت قوات التحالف تتفوق على القوات العراقية في القوات البحرية، فهناك الأساطيل والطرادات والمدمرات وحاملات الصواريخ وحاملات الطائرات التي تملكها قوات التحالف، ولا يقابلها في القوات العراقية سوى قليل من الطرادات والسفن الحربية الصغيرة. . والألغام البحرية المتناثرة في كل مكان من عمق سطح البحر.

خطة العراق الدفاعية

عندما اجتاحت الفرق النظامية أرض الكويت في الثاني من آب ١٩٩٠م، كان من أهم المعدات التي استولت عليها تلك القوات؛ بطاريات صواريخ من نوع هوك محسن (أرض ـ جو) وعـدد من صواريخ كروز متـوسـطة المدى، كانت الولايات المتحـدة قد أخفتها في الكويت بعد توقيعها معاهدة خفض الأسلحة والصواريخ متـوسـطة المـدى مع الاتحاد السوفياتي[1]. وفرت الطائرات الحربية الكويتية إلى مطارات الإمارات والبحرين، وقسم منها إلى سوريا ـ كما يقال ـ بعد اشتراكها في معـركة جوية مع الطائرات العراقية بمساعدة طائرات حربية أمريكية كانت تتواجد بشكل سري في الكويت ضمن معاهدة كويتية أمريكية لحماية الأمير جابر والعائلة المالكة في الكويت.

وفي الثالث من آب ١٩٩٠، بدأ العراق بسحب قواته التي دخلت الكويت، وكانت خطة الانسحاب هذه تسير جنباً إلى جنب مع خطة الدفاع العراقية ضد هجوم أمريكي مرتقب.

ولمّا استقرّ الحال على أن الهجوم الأمريكي لا بدّ منه، بدأ العراق يأخذ مساراً أكثـر دقة في رسم سياساته الدفاعية ضد القوات الأطلسية التي ستهاجمه. حيث حاول ومنـذ البداية أن ينقل أكبر جزء من المعركة إلى أمارة الكويت. ومن خلال التدريبات التي تلقاها الضباط العراقيون لمدة ١٨ سنة على أعمال التخفية والتمويه

(١) وهذه هي إحدى أحابيل الغرب، حيث قام السوفيات بتدمير صواريخهم، بينما قامت أمريكا بإخفائها بمناطق مختلفة من العالم!!



«الهوك الكويتي» استخدمه العراق في حربه مع قوات التحالف بعد أن استولى عليه من الكويت

والخداع والتضليل في الاتحاد السوفياتي، فقد لجأ العراقيون إلى اتباع أسلوب الخدعة والتضليل (شاملاً خداع المراقبة البصرية، وخداع طائرات الاستطلاع وأقمار التجسس) منذ البداية، بالإضافة إلى وضع خطة مبنية على تصاميم دفاعية محكمة للأرض العراقية كاملة، وكانت هذه الخطة على النحو التالي:

- **الهدف الرئيسي للخطة:**

  - استنزاف قدرات العدو إلى أكبر حد ممكن.
  - إيهام العدو بأن أكبر قوة ممكنة تم حشدها في الكويت.

وبناءً عليه:

١ ـ قامت قوات الهندسة العراقية ببناء حاجز ترابي على طول الحدود الكويتية من جهة الجنوب، وساحل الكويت مع الخليج العربي من جهة الشرق، وكان بارتفاع ٣ ـ ٥ أمتار.

٢ ـ حفر خندق دفاعي بعرض ٢ م خلف الحاجز الترابي وعلى امتداده، ثم وضع فيه بعض قطع الخردة وعجلات الكاوتشوك، وتم ملؤه بمادة البترول التي كانت متوفرة بكثرة في الكويت.

٣ ـ وضع حاجز من الأسلاك الشائكة بارتفاع ٨٠ سم وعرض ٣ م خلف الخندق الدفاعي.

٤ ـ يلي ذلك كله ومباشرة حقل ألغام بعرض ٦ م وعلى امتداد الحاجز الأمني والخندق الدفاعي.

٥ ـ وأخيراً حاجز من الأسلاك الشائكة بعرض ٣ م على طول الحواجز السابقة.



الحاجز الأمني الذي أقامته القوات العراقية على حدود الكويت بعد الاجتياح

وبهذا يكون عرض الحاجز الأمني/الدفاعي كاملاً من ١٨ ـ ٢٥ م وبارتفاع من ٨٠ سم ـ ٥٠٠ سم، مليئاً بالعثرات والعوائق أمام القوات المعادية المتقدمة باتجاه الكويت.

٦ ـ وخلف هذا الحاجز احتلت ١٢٠٠ ـ ١٥٠٠ دبابة عراقية و ٩٠٠ قطعة مدفعية وصاروخية بالإضافة إلى ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ جندي مشاة مع آلياتهم المصفحة، وثلاث كتائب استطلاع ومراقبة أمامية.

٧ ـ كل مجموعة قتال من هذه القوات محاطة بحاجز دفاعي مصغّر شبيه بالحاجز الدفاعي عن الكويت.

٨ ـ أضيف إلى هذا الحشد الدفاعي ما مجموعه ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ هيكل خداعي (على شكل دبابة، أو قطعة مدفعية أو صاروخ) مصنوعة من البلاستيك، تم تجهيزها بخنادق دفاعية، وأشكال بلاستيكية مجسمة على شكل جنود عراقيين مسلحين، يُوهموا المستطلع الجوي أو المراقب الأرضي الميداني بوجود موقع حقيقي وحركة شبه طبيعية حول الموقع. بالإضافة إلى ذلك فقد تم مَلء أنصاف هذه الخنادق الخداعية (مواقع وهمية بلغة العسكريين) بمادة البترول وقطع الكاوتشوك، ثم وضع عليها شباك تستر هزيلة تدل على محاولة تخفية الموقع ولا تخفيه بالكامل[1].

٩ ـ القوات البحرية: تم توزيعها ونشرها على طول السواحل الكويتية العراقية، بالإضافة إلى زرع ٣٠٠٠ لغم بحري في الخليج العربي، وذلك بهدف عرقلة

---

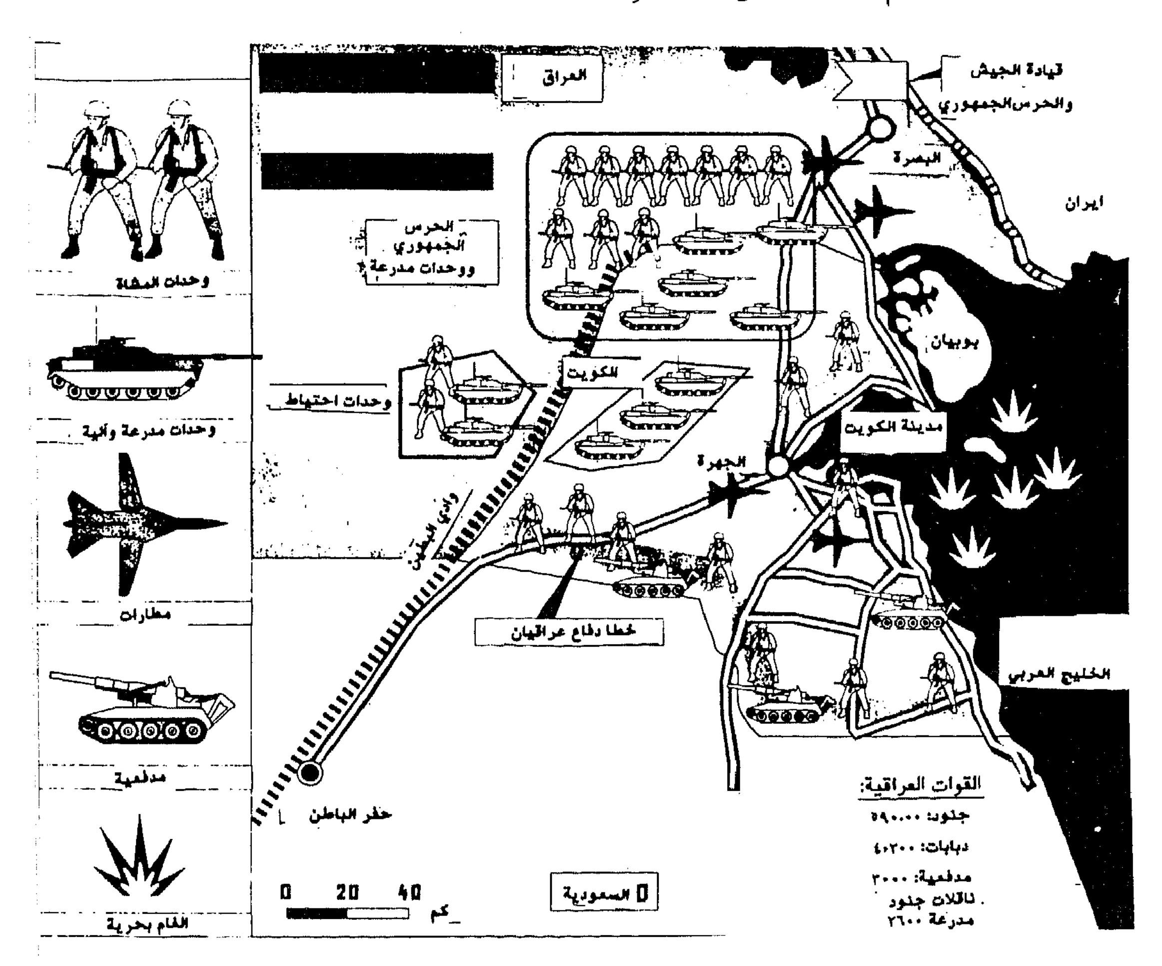
(١) ولقد كانت هذه الخطة الأكثر نجاحاً في استنزاف قدرات العدو بحيث كان طيار التحالف عندما يقصف هذا الموقع تبقى النار مشتعلة به لمدة تزيد عن الأسبوع، فيتوهم أنه قصف موقعاً حقيقياً.

بالإضافة إلى أن هذه الحركات الخداعية جعلت قوات التحالف تقدر القوة العراقية بالكويت بـ ٥٩٠,٠٠٠ جندي و ٤٢٠٠ دبابة و ٣٠٠٠ قطعة مدفعية و ٢٦٠٠ آلية مدرعة.

القوات البحرية المعادية.

١٠ ـ الدفاع الجوي: تم نشر ٧ ـ ١٠ كتائب دفاع جوي من مختلف العيارات والأنواع على كامل الأرض الكويتية.

هذا ما تم إجراؤه داخل حدود الإمارة الكويتية.



خطة الدفاع العراقية بالكويت كما قدرتها استطلاعات قوات التحالف

أما بقية القوات العراقية فقد تم نشرها على النحو التالي:

١. فيلق عراقي واحد على الواجهة التركية.
٢. فيلق على الواجهة الإيرانية.
٣. فرقتا مشاة على الواجهة السورية.
٤. ٤ ألوية صواريخ أرض ـ أرض تم توزيعها وسط العراق وغربه.
٥. قاعدتي صواريخ سكود ـ ب ثابتة في المنطقة الغربية من العراق قرب منطقة H3.

٦. القوات الجوية: اتفق على أن تبقى في مخابئها التي كانت معدة لتحمُّل شتى أنواع القنابل والقصف الجوي غير الليزري.

٧. الدفاع الجوي: تم نشر ما يزيد عن ١٤٠ كتيبة دفاع جوي تحتوي على مختلف أنواع الصواريخ أرض/جو من طراز سام ٧ وسام ٨، سام٥ وسام ١٣ وسام ٦ وغيرها، ومختلف المدافع الثنائية السبطانات والرباعية السبطانات التي كان أخطرها مدفع الشيلكا الروسي.

٨. الاحتياط: احتفظ العراق بكامل قوات الحرس الجمهوري والتي تقدر بـ ١٨ ـ ٢٥ فرقة، تم وضعها في مخابىء تحت الأرض مجهزة لتحمُّل جميع أنواع القصف[1]، ووزعت في جنوب العراق وعلى الحدود الشمالية للكويت وفي وسط العراق (حول بغداد) وفي الشمال حول كركوك الغنية بالنفط.

٩. مصافي النفط: تم وضع أشكال خداعية عليها بحيث تبدو الأجزاء المهمة منها مدمرة، كما تم إفراغ خزانات البترول الرئيسية، واستبدال مادة البترول بالماء كي لا تساعد على زيادة الاشتعال أثناء وبعد القصف.

١٠. المصانع الاستراتيجية والعسكرية: لم يكن للعراق مصانع استراتيجية أو

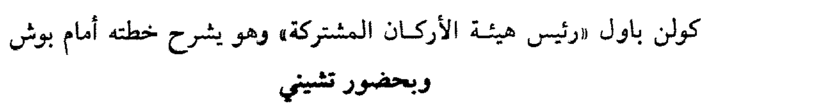
---

(١) هذا إن استطاع العدو معرفة مواقعها.

مفاعلات نووية أو مصانع عسكرية ظاهرة للعيان، بل على العكس كانت كل تلك المواقع مخفية تحت الأرض، ومعدّة لتحمّل أشد أنواع القصف الجوي والمدفعي، وحتى الضربات النووية.



مصنع عراقي، كما يبدو لم يظهر منه غير مدخله



كولن باول «رئيس هيئة الأركان المشتركة» وهو يشرح خطته أمام بوش وبحضور تشيني

خطة الهجوم الأطلسية

خطة القصف الجوي

كان الجنرال شوارسكوف، الرابض بقاعدة جوية سعودية تحت الأرض، يرتكز بتنفيذ خطته الحربية على العراق على أربعة أمور هي :

- أهداف الحملة الرئيسية على العراق وهي :

١ . تمزيق المجتمع العراقي بما فيه جيشه .

٢ . ديمـومة أثر هذه الحملة النفسي على القرارات السياسية في العراق وفي العالم العربي لسنوات طويلة .

- الخطة رقم ١٠٠٢/ ٩٠ لقوات الانتشار السريع وما طرأ عليها من تعديلات .

- توجيهات القيادة الأمريكية في البيت الأبيض .

- الحشد الهائل من القوات الجوية الأرضية، وهو حشد لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمم، وبناء عليه، فإن أهداف القصف الجوي الأطلسي للعراق كانت على النحو التالي :

١ . قوات الحرس الجمهوري .

٢ . مطارات وطائرات سلاح الجو العراقي .

٣ . صواريخ سكود العراقية .

٤ . قيادة الجيش العراقي وقيادات الفرق والفيالق الرئيسية .

٥ . الرئيس العراقي صدام حسين وعائلته .

٦ . وزارة الدفاع والتصنيع الحربي .

٧ . دائرة الأحوال المدنية والجوازات .

٨ . دائرة المخابرات العراقية .

٩ . المصانع العسكرية والحيوية .

١٠ . مستودعات الذخيرة والتموين .

١١ . المفاعلات النووية والمصانع الكيماوية .

١٢ . وزارة المواصلات والبريد وكافة فروعها .

١٣ . الطرق والجسور الرئيسية .

١٤ . القصر الجمهوري .

١٥ . القوات النظامية .

١٦ . برج الاتصالات .

١٧ . الإذاعة والتلفزيون .

ولقد كان القصد من تحقيق هذه الأهداف ما يلي :

١ . إنهاك القوات العراقية وتمزيقها .

٢ . تدمير عقد المواصلات .

٣ . عزل القيادة العراقية عن القوات الأمامية .

٤ . قطع إمدادات التموين والذخيرة والوقود .

٥ . إخراج سلاح الجو العراقي من المعركة .

٦ . مراقبة طائرة الرئاسة وقتل الرئيس العراقي وزوجته وأفراد عائلته عند أي محاولة للهرب .

ولم يكتف الأطلسيون بهذا الحجم من الأهداف والمقاصد ، بل زادوا على تلك الأهداف لتشمل قصف المدارس الحكومية ، والمستشفيات ، وخطوط الصرف الصحي ، وخطوط الضغط العالي ، ومصافي البترول العراقية . . وحتى مصانع البسكويت وحليب الأطفال . . ثم انتهى الأمر بقصف الأسواق العامة والمتاجر . .

وأشجار النخيل. . وأخيراً بيوت الشعر، وناقلات النفط الأردنية التي تنقل البترول إلى الأردن من العراق!!



كمـا يبـدو من الصورة، فإن أسلاك الضغط العالي كانت إحدى أهداف القصف الأطلسي

وكان الهدف واضحاً وجلياً من ذلك كله كما أسلفت؛ تمزيق مجتمع بأسره، وإبقاء الأثر النفسي على أجيال متعاقبة. بالإضافة إلى هدف جديد جرى تحريره أثناء العمليات العسكرية، وهو ضرورة إعادة العراق إلى ما قبل العصر الحجري .

خطة الهجوم البري

إن المستقرىء لخطوط الخطط التي رسمها الجنرال نورمان شوارسكوف وهيئة الركن التي انضوت تحت قيادته في قاعدة الظهران وحفر الباطن بالسعودية، لتحقيق هجوم بري ناجح على القوات العراقية في الكويت وما حولها؛ يجد حقيقتين ماثلتين أمام فكره وهما:

● إن المغالاة التي يدّعيها الغرب في تقدم التقنية الاستطلاعية ودقة الأقمار الصناعية الأمريكية، هي أقرب إلى الدعاية منها إلى لمس الحقائق، بدليل أن الهجوم الذي نفذه شوارسكوف من أجل إخراج القوات العراقية وسحقها في الكويت، والتي نفذت على نحو سبعة محاور، كل محور مؤلف من قوة تزيد عن فيلق ـ كان هجوماً ساحقاً على قوة لم تجاوز في مجموعها داخل الكويت أكثر من قوة فرقة مدعمّة بقوات حجابات خفيفة وقوات استطلاع ميدانية. في الوقت الذي كان التقدير لحجم تلك القوة من قبل قوات التحالف أنها تزيد عن السبع عشرة فرقة.

● الأمر الآخر؛ هو أن العقلية العسكرية الغربية لا زالت على حالها ـ بفكرها الاستعماري وأسلوبها الحربي ورغبتها للانتقام والقتل ـ منذ الحرب العالمية الأولى والثانية، بحيث يتبادر إلى ذاكرتك وأنت تنظر إلى طرق المحاور الرئيسية في الهجوم وأسلوب تنفيذ الخطة البرية، تلك الصورة التي تركها الفيلد مارشال برنارد مونتغمري على خرائط خطة العلمين وإنزال النورمندي عام ١٩٤٢.

وهذه حقائق لا مغالاة فيها، فكلنا سمع أو قرأ عن دقة التفاصيل والمعلومات

التي يمكن لطائرات الاستطلاع الجوي الغربي وأقماره الصناعية أن تحصل عليها. . ولو كان هذا صحيحاً لما كان هذا الفارق ما بين التقدير والواقع، وزجّ كل تلك القوات من جيوش التحالف في تحقيق الهجوم عليها.

ومن جهة أخرى، كلنا علم أو قرأ أو درس خطة الهجوم التي قام بها مونتغمري كقائد لقوات الحلفاء في معركة العلمين. . أو زخم الإنزال الذي نفذه سنة ١٩٤٢، على قوات رومل.

كذلك كان التخطيط الذي تم تنفيذه على القوات العراقية والعراق سنة ١٩٩١م، حيث اعتمد قادة التخطيط العسكري وعلى رأسهم الجنرال شوارسكوف على البنية التحتية التالية[1]:

١ ـ جيش عراقي يُعتقد أنه أصبح الآن قوة شبه ممزقة أو مُختل التوازن. . وهذا ما لم يكن دقيقاً على الإطلاق.

٢ ـ قوة حربية هجومية (أرضية وجوية) لم يسبق لقائد عسكري من ذي قبل أن ملك التصرف بمثلها.

٣ ـ إعلام عالمي مسيطر عليه تمام السيطرة، فلا أخطاء تظهر فتؤثّر على فكر القائد وصفاء ذهنه، ولا ضحايا يُحصى عددها ويفضح أمرها فتؤثر على معنويات الجند، ولا جرائم حرب يكشف عنها فتؤثر على عواطف البشر وتضغط على رغبات السياسي الأشر.

٤ ـ عدو عراقي محاصَر من جميع النواحي. . . حتى إعلامه.

٥ ـ استطلاع معادي باهت.

---

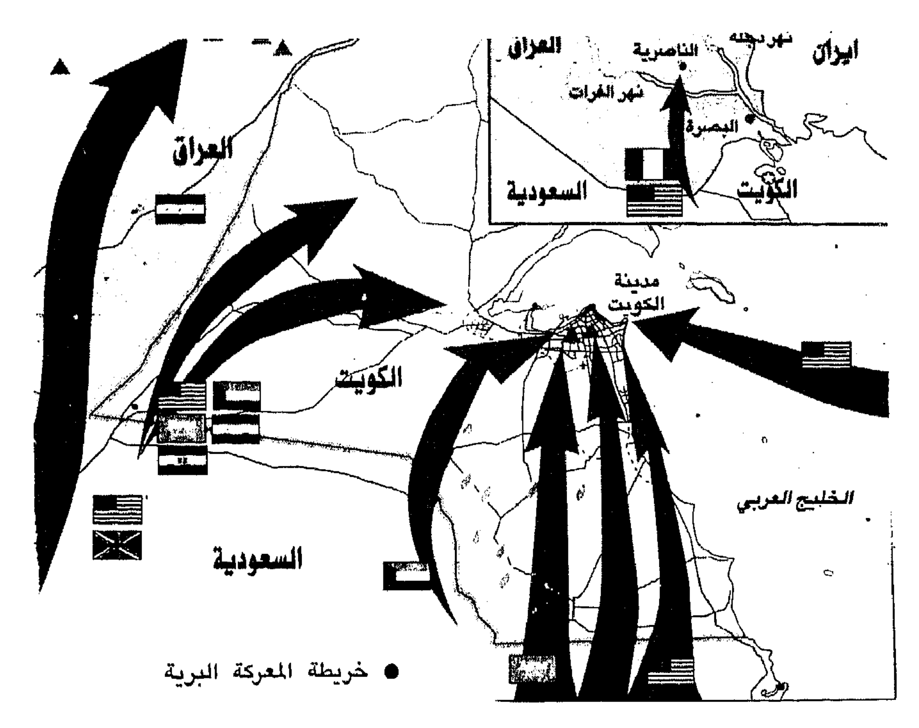
(١) هي اعتمادات لم تكن بالضرورة أكيدة، وقد ثبت مدى الإفراط في تبنيها أثناء معركة الأطواق، وما بعد الحرب.

فكانت هذه المرتكزات الخمسة، هي التي جعلت «دُبّاً»[1] مثل شوارسكوف يتفنن في رسم خطته البرية للهجوم على العراق وتحرير الكويت، حيث كان سهل عليه أن يتبنى ثلاثة مبادىء عسكرية في بناء هيكل خطته هذه:

١ . هجوم تضليلي من جهة البحر.

٢ . هجوم جبهوي غير رئيسي من جهة الجنوب.

٣ . التفاف القوة الرئيسية من جهة الغرب للوصول إلى عمق العدو.



«خطة الهجوم البري كما خُطط لها حسب إملاءات فرضتها تقديرات الاستطلاع الغربي لقوات التحالف الثلاثيني»

---

(١) هكذا سمّاه كُتّاب وإعلام الغرب.

وبنـاءً على هذه الثـوابت التي ترسّخت في فكـر شوارسكـوف وهيئة أركانه، فقد تهيأت قوات جيوش التحالف التي قُدرت وقت الهجوم بـ ٧٧٤,٠٠٠ جندي قبل الثالث والعشرين من شهر شباط ١٩٩١م ليكون هجومها البري على القوات العراقية على النحو التالي:

١ ـ تقوم فرقة من القوات البحرية بالهجوم المباشر عن طريق إنزال بحري على شواطىء الكويت من جهة الشرق. ويكون واجبها إيهام القوات العراقية أن الهجوم الرئيسي قد بدأ ومن جهة البحر.

٢ ـ القوات العربية تدعمها ٣ فرق مارينز أمريكية تتقدم من حفر الباطن إلى الشمـال باتجـاه الكويت وعلى ستة محاور، ويكون واجبها فتح الثغرات التي لم تتمكن قذائف القصف الجـوي من فتحها في الحاجز الأمني المقام على جنوب وشـرق الكـويت، وجلب المعلومات الاستخبارية عن قوات العدو، وتوجيه رماية المدفعية ـ التي كانت في أغلبها تحمل قذائف نووية تكتيكية ـ إلى أهدافها، وأخيراً تحرير الكويت والسيطرة على أراضيها.

٣ ـ قوات الجيش السـابـع وثلاث فرق مدرعة، وفرقة مشاة أمريكية + فيلق بريطاني وفيلق فرنسي تقوم بالالتفاف من جهة الغرب قاصدة العمق العراقي، ثم الوصول إلى شمال الكويت وجنوب البصرة، لوضع الجيش العراقي الذي كان يُعتقد أن أغلبه ـ وخاصة الحرس الجمهوري ـ في الكويت أو قريباً من حدودها الشمالية، بين فكي كمّاشة، ومن ثم قتله وتمزيقه قبيل تمكنه من الإفلات أو الهرب باتجاه الشمال.

٤ ـ يرافق هذا الهجوم سربان من طائرات الأباتشي (قانصة الدروع)، وسرب من طائرات الكوبرا، وسرب من طائرات بلاك هوك العمودية، وطائرات عمودية خليجية.



مدفع أمريكي عيار ١٥٥ ملم تتقدمه قذيفة نووية تكتيكية قبيل محاولة تركيبها آلياً بالمدفع.

٥ ـ تقوم طائرات النقل والإمداد ببناء قاعدتي تموين وذخيرة وإمداد في المنطقة الواقعة جنوب غرب البصرة، والمنطقة الواقعة جنوب منطقة السماوة.

٦ ـ الفرقة ٨٢ المحمولة جواً، والفرقة ١٠١ المحمولة جواً، والفرقة الثالثة المدرعة من قوات الفيلق الثامن عشر الأمريكي، والفرقة ٢٤ الأمريكية (احتياط).

□

كان القلق بادياً وبشكل واضح على تقاسيم وجه قائد قوات التحالف الميداني، وقد أعطى أوامره إلى قواته ببدء الهجوم البري، رغم كل التأكيدات التي حصل عليها من صور الأقمار الصناعية وأفلام الفيديو التي تجلبها الطائرات المقاتلة والاستطلاعية، ومعلومات قوات الاستطلاع الميداني.. ولقد كان مُحقّاً في قلقه وارتيابه.

فلا شيءَ من كل تلك التقارير والمعلومات التي أكدها لأسياده ورجالات الصحافة من حوله كان بإمكانه الاقتناع بمدى مصداقيتها؛ فصور الأقمار الصناعية ليس بمقدورها التفريق ما بين اندلاع النيران في موقع خداعي أو موقع حقيقي، ولا ما بين صاروخ سكود حقيقي وهيكل خشبي على شاكلة الصاروخ نفسه؛ فكلا المواقع المدمرة سواء أكانت حقيقة أم خداعية تخرج ألسنة اللهب من باطنها، وكلا الصورتين اللتين تؤخذ للصاروخ الحقيقي أو الصاروخ الخداعي تحمل نفس مواصفات المظهر الخارجي. كذلك الحال بالنسبة للطيارين، فهم بطبيعتهم الإنسانية أو البشرية يميلون إلى الظهور بمظهر الذي حقق أهدافه، والصور الجوية كذلك التي يحضرونها من خلال طلعاتهم الهجومية لا تحمل أي تأكيد على ادعاءاتهم.. حتى التقارير التي استطاع أن يجلبها جنود الاستطلاع الميداني الذين استطاعوا التوغل والتغلغل في عمق الكويت تشير إلى عدم مبالاة الجندي العراقي بما يجري حوله!!

فأي دلالات ـ كمثل هذه الدلالات ـ تجتمع إلى فكر قائد عسكري مثل شوارسكوف، ولا تدعه إلى الارتياب والقلق؟

□

في صبيحة الحادي والعشرين من شهر شباط ١٩٩١م، استلمت جيوش التحالف ـ التي أكملت اصطفافها في رتل واحد منظم على شكل رأس الحربة ـ الأوامر بالتقدم صوب الكويت، وكان هذا الرتل العملاق من قوات التحالف المتقدمة بهيئتها وشكلها ـ كما بدت للوهلة الأولى ـ صوب الكويت، كفيل بتقديم القناعة لدى العراقيين أن الهجوم البري سوف يكون منصباً بكامل قوته على الكويت[1]، وهو رتل قد نُظِّم على النحو الذي يكون على رأس حربته قوات الاستطلاع الأمريكية، ثم يليها قوات الهندسة المصرية، ثم قوات سورية ومصرية وسعودية وقطرية وكويتية، يلي ذلك فيلق من الجيش البريطاني، ثم قوات الجيش السابع الأمريكي، وثلاث فرق مدرعة، وفرقة آلية أمريكية، ثم فيلق فرنسي.

ولقد كان القصد واضحاً من هذا الترتيب، وجعل القوات العربية في مقدمة هذا التقدم أو الزحف الغربي الأطلسي الذي يسبق الهجوم البري، وهي مقاصد تعيد إلى ذاكرة المرء العربي قولة هرقل الشهيرة إلى قائد جيوشه «ماهان» المتقدمة باتجاه سورية سنة ٦٣٦م، بعد أن أمره أن يجعل جيش جبلة بن الأيهم «جيش الغساسنة» في مقدمة الجيوش التي ستصارع الجيش العربي الإسلامي: «يا ماهان، لا يقتل الشيء إلّا نفسه، ولا يفلّ الحديد إلّا حديد مثله».

وفوق ذلك، أراد شوارسكوف أن تتلقى القوات العربية الصدمة الأولى، لأي محاولة لصدّ الهجوم من قبل القوات العراقية المُدافعة، وبذلك يكون الدم العربي

(١) ولقد ساعد على تبرير هذه القناعة: أن المنطقة الجنوبية الغربية للأرض العراقية هي تربة غير صالحة لمسير الآليات الثقيلة وخاصة في الشتاء.

قد استنزف نفسه بنفسه إلى أكبر حدٍّ ممكن، وهو أمر يروق للساسة والقادة الغربيين في تخفيض عدد القتلى والجرحى من جندهم إلى أدنى حد ممكن!

□

في تمام الساعة الرابعة من صبيحة ١٩٩١/٢/٢٣، كانت الأوامر قد صدرت إلى هذا الرتل العملاق بتنفيذ خطة الهجوم البري، حيث بدأت الفيالق الزاحفة كأنما هي أنبوبة معدنية قد بلغ الماء المندفع بداخلها إلى ثقوب جُهزت، ليخرج منها الماء المناسب، كل جزء باتجاه محدد.. فكانت محاور الهجوم تأخذ مسارها الجديد على أحد عشر محوراً، أقل محور منها يقدر بقوة فيلق:

● فكانت القوات العربية وثلاث فرق أمريكية تهاجم مدينة الكويت على خمسة محاور مختلفة.

● والقوة الرئيسية تقوم بالالتفاف من جهة الغرب لتهاجم مدينة البصرة والناصرية والقوات العراقية المتواجدة شمال الكويت والمنسحبة من جنوبه، وهي قوة مكونة من قوات الجيش السابع الأمريكي وثلاث فرق مدرعة، وفرقة آلية أمريكية، وفيلق بريطاني وآخر فرنسي، تدعمها قوة جوية من الطائرات العمودية مقدرة بـ ٤٨ ـ ٦٠ طائرة من طائرات الأباتشي والبلاك هوك والكوبرا، و ٦٩ طائرة عمودية خليجية، و ٣٧ طائرة عمودية أخرى في قاعدة إنجرليك التركية.

ومن المفارقات العجيبة، أن هذه القوات المهاجمة لمدينة الكويت لم تجد من الجيش العراقي داخل الكويت ما يبرر ضخامة قُوّتها، كما أن القوات الملتفة من الغرب لم تواجه مقاومة تُذكر في طريقها، حتّى بلغت مشارف البصرة!

وهناك كانت الواقعة.. حيث قوات الحرس الجمهوري، التي كانت تتمتع بكامل قوتها ومعنوياتها داخل مخابىء خاصة أُعدّت لها تحت الأرض، تخرج من مخابئها، قد أضجرها طول انتظار، وشوق غريب في صفوف جنودها إلى بدء النزال،

وهي قوة لا يُستهان بها، تقدر بـ ١٥ ـ ١٨ فرقة مدرعة وآلية لم تكن في حسبان شوارسكوف، ولقد كانت على قدرة عالية من التدريب والانضباط والمعنوية والتسليح، والإخلاص للقيادة العليا في العراق، حيث استطاع أول فيلق من هذه القوة امتصاص زخم الهجوم الذي نفذته الفرق المدرعة الثلاث، الأولى والثانية والثالثة الأمريكية، وتطويقها عند مشارف مدينة البصرة من الجنوب الغربي، وكان هذا التطويق المفاجىء ـ غير الوارد في الحسبان ـ أكبر عامل ذهول بالنسبة لتلك القوات التي بدت إشارات الذهول والنجدة تنبعث من أجهزتها اللاسلكية.



طائرات الأباتشي تنطلق نحو أهدافها في العراق

وجرت معركة بالدبابات، كانت من أقسى وأعنف المعارك التي خاضتها قوات أمـريكية على الإطلاق.. وقد ساعدت ظروف الطقس وهبوب الرياح والعواصف الشديدة والأمطار الغزيرة على إخلاء الساحة للدبابات فقط، فلم تستطع طائرات القتال العمودية من الضلوع بمشاركة فاعلة في هذه المعركة التي أعطبت ٧٦ دبابة أمريكية و١٣ عربة قيادة مصفحة، وإسقاط ما يقدر بـ ٢٣٠٠ ـ ٣٠٠٠ جندي وضابط أمريكي[١]، ناهيك عن حالات الأسر والاستسلام الفردية والجماعية.

... كانت المفاجأة مذهلة، والذهول الذي بدا على الجنود والقادة الأمريكيين أكبر من أن يمكن وصفه، خاصة وأنهم قطعوا مسافة مسير ٤٢ ساعة دون اعتراضهم بأي مقاومة تذكر.. وهي خدعة عراقية استطاعت أن تؤكد للجيوش المتقدمة إلى عمق العراق أنّهم ينقضون على جيش ممزق أو مختل التوازن.. ولقد أوشكت هذه القوات على الاستسلام الجماعي لولا وصول قوات الجيش السابع الأمريكي، التي لم تكن بعيدة عنها، وهي قوة كانت معدّة ضمن قوات حلف شمال الأطلسي لمقابلة قوات مثيلة لها من قوات حلف وارسو. حيث استطاعت فور وصولها ـ وبكل سهولة ـ أن تطبق طوقها المنيع على قوات الحرس الجمهوري المنصبّة بحممها النارية على فرق القـوات الأمـريكية المـطوقة.. وتلا هذا الطوق طوقٌ آخر من قوات الحرس الجمهوري، لم يلبث أن أحاطه طوق آخر من قوات الجيش البريطاني والفرنسي حيث شكلت بمجمـوعهـا حلقات مدرعة ونارية يصعب الانفكاك منها أو إخبات نيرانها على الأقل.

□

(١) حسب رواية أحد ضباط فرقة عدنان، وهي أول فرقة اصطدمت مع القوات الغربية.



جندي أمريكي يلقي سلاحه ويرفع يديه مستسلماً في معركة الأطواق

كانت هذه المعركة الشرسة بكل تفاصيلها، والمعقدة بكل خلجاتها، ترافقها حرب نفسية معدّة سلفاً، وتتساقط أوراقها من قبل طائرات أمريكية خاصة على كل الأرض العراقية بمعدل ١٠٠ ألف ورقة بالساعة، كلها تدعو الجندي العراقي للاستسلام وإلقاء السلاح مع التعهد له باستقباله على أحسن طرق الضيافة العربية، وقسم آخر منها يقول لشيعة الجنوب العراقي أن أكراد الشمال تمكنوا من إنجاح ثورتهم استغلالاً لظروف المعركة الحالية، وهم الآن بصدد إقامة دولتهم الكردية التي من الممكن لها أن تحكم أرض العراق بأكملها، وبالوقت نفسه تدعو الأوراق المتساقطة على الأكراد إلى الثورة على دولة الشيعة التي أوشكت على استلام زمام الحكم في الجنوب..

هذه المعـركـة، معـركـة الأطـواق، وهذه الحرب النفسية كانت تجري بكل تعقيداتها وهي تنتظر بالوقت نفسه خطة إيرانية قد تم الاتفاق عليها ما بين رفسنجاني والوزير بيكر منذ وقت قريب أمْلَتها ظروف الحالة الغريبة من لجوء الطائرات الحربية العـراقية إلى إيران، وتبعيات الحقـد الإيراني المبطن منذ عهود سلفت، وجارت الحرب العراقية الإيرانية على العراق وقيادة العراق. وهي خطة تدعو إلى مقايضة حلم إيراني يسعى بإقامة دولة شيعية في جنوب العراق بهجوم إيراني من قبل ٧ فرق إيرانية من الحرس الشـوري الإيراني و ٤ ألوية نظامية من الجيش الإيراني على القوات العراقية في البصرة وما حولها، بحيث تتقدم على نحو ثلاثين محور وعلى جبهة طولها ١٥٠ كم متزامنة مع توقيتات معينة في الحرب البرية.



دبابات أمريكية في معركة الأطواق

ولم تغرب شمس اليوم الرابع والعشرين من شهر شباط (أي اليوم الثاني للحرب البرية) حتى بدأت فرق أمريكية وفرق عراقية تتهشم قسماتها. . وهو أمر ربما ورد بالحسـابات العراقية، لكنه لم يكن يشكل بمجموعه أقل من مأزق خطير بالنسبة

لشوارسكوف نفسه، وجورج بوش ـ الذي علم بالأمر ـ في مكتبه.

وجرى تحرير أمر جديد ـ بناءً على الواقع الجديد ـ وهو ضرورة دفع قوات احتياط المعركة وزجها في العمق العراقي بحيث تخلق واقعاً جديداً وتساعد على إربـاك القوات العـراقية والقيادة السياسية لها، ثم بذلك محاولة يائسة لفك تلك الأطـواق المتجنـزرة، حيث جرى دفـع الفـرقـة المدرعة الثالثة والفرقة الآلية ٢٤ الأمريكية، وإقلاع طائرات الإنزال الجوي لتلقي بلوائين من الفرقة ٨٢ المحمولة جواً في المنطقة الغربية للعراق القريبة من الحدود الأردنية، وذلك بقصد تدمير بقية القواعد الثابتة لصواريخ سكود العراقية، ولواء آخر من تلك الفرقة تم إنزاله في منطقة ذي قار العراقية.

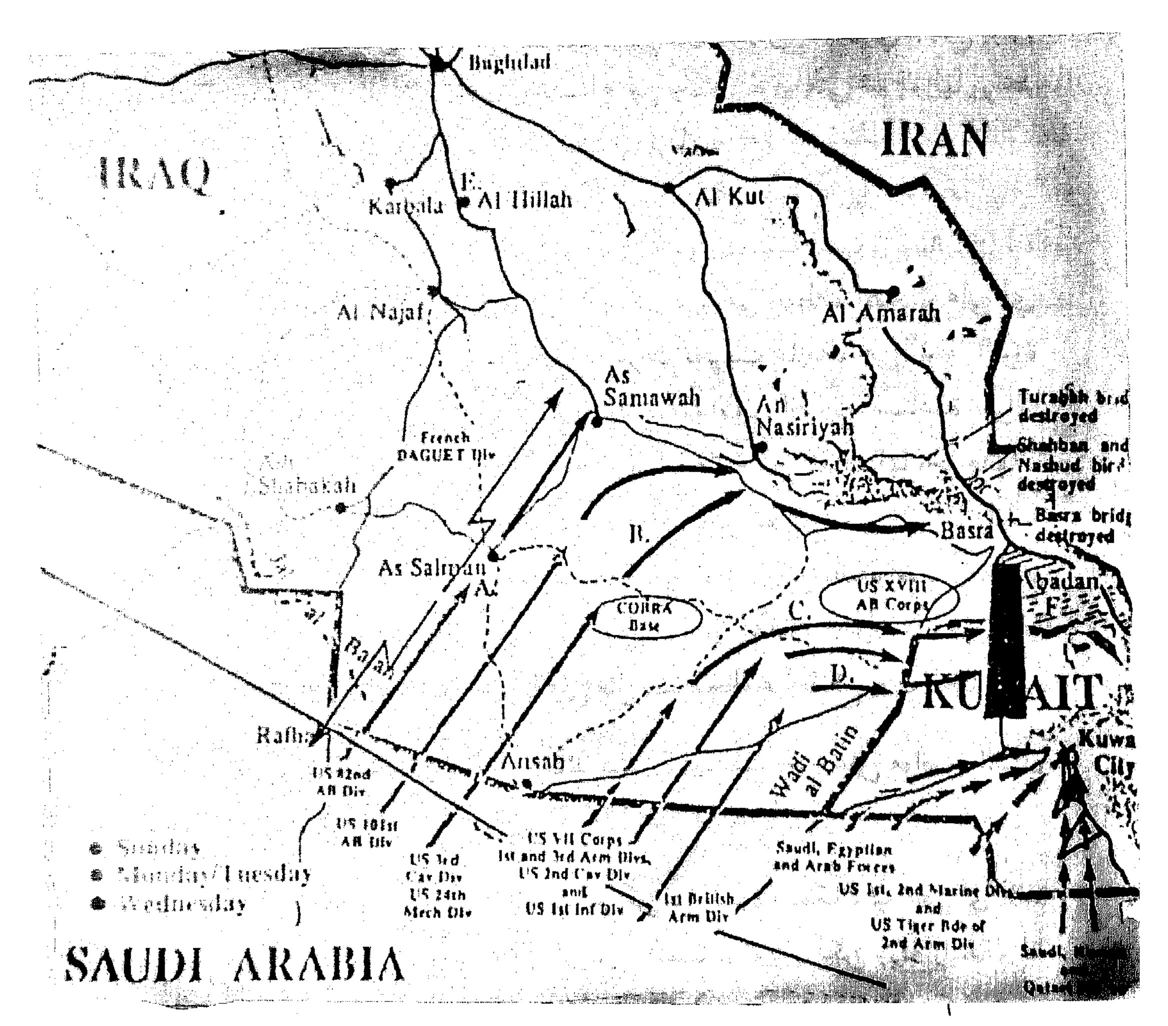
بالإضافة إلى الفرقة ١٠١ المحمولة جواً التي تم إنزالها على مناطق قرب مدينة الناصرية[١]. وذلك بقصد قطع الإمدادات على القوات العراقية في الجنوب، إيقاع الفزع في قلوب الساسة العراقيين من خلال إظهار شيء من القوة الأمريكية قريبة من مدينة بغداد العاصمة.

. ولم يكن التعـزيز يشكّل أكثر من معالجة الخطأ بخطأ أكبر جسامة من الذي سبقه؛ فالقوات المدرعة والآلية لم تغيّر من الوضع المتأزم شيئاً، والفرق المحمولة جواً ساقتها التقادير التعسة إلى قبالة قواتٍ لم تشارك بالحرب من بدايتها.

ولم تنقضِ السبعون ساعةً الأولى من المعركة حتى بدت معركة ـ بكل دلالاتها وخلجاتها، والأشلاء المتساقطة فيها، وألسنة اللهب المنبعثة منها ـ الأطواق التي جرت جنوب العراق تقود المتقاتلين العراقيين والأمريكيين إلى جحيم حرب لم ينتظروه.

---

(١) هكذا تشير أكثر المصادر مع العلم أن الخارطة التي استطعت الحصول عليها تشير إلى إنزال الفرقة ١٠١ في الناصرية، والفرقة ٨٢ كاملة بالسماوة.



خطة المعركة البرية كما نفذت على الأرض وأملتها ظروف معركة الأطواق

وبالرغم من أن الخسائر صارت لا تُحصى ، إلّا أن التصميم على مواصلة القتال بكل عناد من كلا الطرفين كان أكبر.

وبدأت فرق الاحتياط الأرضية بالوصول إلى محيط المعركة ، كما بدأت القوات المحمـولـة جواً بالنـزول إلى أفـواه المـدافع وألسنة اللهب التي كانت كأنما هي

بانتظارها . . ولم يمضِ وقت طويل حتى انفجر قلق الرئيس الأمريكي جورج بوش عندما أجابه القائد الميداني على استفساره عن وضع الفرق التي تم إنزالها بوسط العراق وغربه «لم أسمع لها صوتاً منذ لحظات نزولها» .

□

. . وبدت صورةٌ في جنوب العراق وغربه وقريباً من وسطه، يصعب على أي إنسـان وصفها؛ أجواء معركة شرسة، ومظاهرات تخريب عارمة، هي أشبه بالثورة على نظام الحكم، وجيش إيراني ـ كان يُعتقد للوهلة الأولى أنه جاء لمساعدة العراق ـ يعيث في الأرض فساداً . . وصارت الحالة العامة قاتمة بكل تفاصيلها وخلجاتها، ويصعب على أي قائـد تداركهـا أو إدراكهـا؛ فجيوش تتصارع من غير انضباط، وشعوب تتقهقهر بكل فوضى، ومحافظات عراقية تتزلزل بكل اضطراب، وصوامع تُهدم من غير رحمة، وجوامع ودور عبادة تُردّم من غير إشفاق . . وأخيراً ستون ألفاً من شيعة العراق تستسلم، لا يجبرها على مثل هذه الحالة غير طبائع حب الخيانة . .

فأي بساط افترشت رسومه أمام قائد سياسي قد عقد العزم على مواصلة القتال وتحقيق النصر مثل الرئيس العراقي صدام؟!

الأمر في مثل هذه المرحلة الصعبة لم يكن من السهولة بمكان فيه على أي قائد عسكـري أو سياسي أن يُبقي حالة العزيمة والتصميم لديه، لكن ورقة رابحة، لا زالت ماثلة أمام عينيه وبين يديه، هي تلك القوات الغربية، وخاصة الأمريكية منها، المطوقة بدروع قوات الحرس الجمهوري وتحت رحمة نيرانه التي لم تخبت لغاية الآن عزيمتها .

وبـدأ التـأرجـح في فكر القائد السياسي العراقي، على أي القرار السياسي الخطير الذي يجب أن يتخذه . . وهي حالة من التفكير لم تكن بعيدة عن حالة الذي حمل خِلفته الأنثىٰ ليدفنها حيّة خشية الفقر؛ أيمشي على هونٍ أم يدسّها في التراب؟!

. . . وأخيراً كان القرار السياسي الأثقل وقعاً على كل سامع عربي، والأمرّ من المرّ على كل مخلص قومي، بإعلان انسحاب القوات العراقية من الكويت، وقبول كافة القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي مقابل الحفاظ على سلامة الأمن والأرض العراقية، في وقتٍ لم يكن يعلم العراقيون أنهم والأمريكيون في حالة تشبه حالة أولئك الذين وضعوا أصابعهم بين أنياب بعضهم، يريد كل منهما أن يُظهر مدى مقدرته على التحمل والصبر على الألم.

وبالفعل، لم يمض وقت طويل حتى أدرك العراقيون أن تلك الحالة الحرجة التي مرّوا بها أخيراً أثناء الحرب البرية لم تكن بعيدة عن مقولة أن «الشجاعة صبر ساعة».

فإعلان حالة الانسحاب للقوات العراقية، وقبول القرارات الدولية من قبل العراق، لم يكن بالنسبة للأمريكان ـ وعلى رأسهم بوش ـ أكبر أو أكثر من منفسٍ ضيق، استطاع من خلاله أن يُخرج زفرته المضغوطة المكبوتة في أعماق صدره، ليتمكن بعدها أن يقول للعالم أنه الآن يريد وقف إطلاق النار مع القوات العراقية!!

أي فرصةٍ أضاعها شعب العراق، وشيعة إيران، وعرب العروبة . . . وعرب الإسلام . . . لم تحضر إليهم منذ زمنٍ بعيد!!؟

□

وبالرغم من أن حالة إعلان الانسحاب العراقية قد سبقتها دلالات غريبة عجيبة، كمثل إشعال آبار النفط الكويتية، وفتح أنابيب النفط الممتدة إلى البحر على ماء الخليج العربي . . إلّا أن الجيش العراقي ـ كما أشار أكثر من مصدر ـ قد بدأ الانسحاب من الكويت قبل ذلك بزمن كبير. وما الحمم النارية والقذائف الصاروخية التي تساقطت على أرض الكويت، لم تكن إلّا استنزاف لطاقات العدو وقدراته على هياكل وأشكال خداعية قد أتقن العراقيون صناعتها وتصميمها، وأحسنوا



هكذا كانت الحالة النفسية للجندي الأمريكي بُعَيد إعلان وقف إطلاق النار
«لم تخلُ من الشعور بالانكسار»

توضيعها وتوزيعها، وأحكموا كتمان أمرها وأمر انسحاب القوات الحقيقية من بينها.

وهكذا.. خرجت الكويت من قبضة أمها إلى قبضة أيادٍ أجنبية قد هالها الانقطاع لفترة وجيزة ـ قوامها سبعة أشهر ـ من الزمن عن نهب خيراتها والسيطرة على مقوماتها وثرواتها وأراضيها إلى الأبد.. وكانت لحظة حالة «التحرير» المزعومة، صورة قاتمة مختلطة؛ تعبر عن امتزاج أشكال الدمار بهالات الخراب تحت ألوان ألسنة اللهب المتصاعدة في كل مكان، وأعمدة الدخان الأسود المرتفعة إلى عنان السماء.. صورة امتزجت بها حالات وقائع الدمار في كل مكان، بحالات انتعاش الأمل في كل نفس، مثلما امتزجت بها حالات اليأس والقنوط من المستقبل المشرق، بحالات الغبطة والسرور في لحظة التحرير الذي ظنّ الكويتيون أنه لهم أو من أجلهم قد تحقق!



لحظة تحرير الكويت

«الحرائق والدمار في كل مكان»

وهكذا . . انتهت الحرب، التي كانت مُريبة في أسبابها، غريبة في أحداثها، قاسية في كل تفاصيلها ومجرياتها، همجية وحشية في كل أساليبها وأهدافها . . قاتمة مُظلمة في انتهائها، وتوقف العمليات فيها، غير واضحة المعالم في نتائجها وأساليب الإعلام المخبرة عن تفاصيلها.

الفصل الرابع

١ . أسباب توقف العمليات الحربية

٢ . دور وسائل الإعلام

٣ . الخسائر

٤ . نتائج الحرب بشكل عام

أسباب
توقف العمليات الحربية

مما لا شك فيه أن الخلاف صار صوته عالياً بين كل قادة التحالف السياسي على ضرورة وقف الحرب في الخليج، وكانت وجهات النظر التي علا صوت الخلاف فيها تنقسم إلى اتجاهين:

الأول: يعتمد على إرهاصات ذات طابع سياسي واقتصادي ودرامي بحت.

والآخر: تُمليه رغبات وظروف ذات طابع عسكري وميداني وحربي بحت أيضاً.

وكان الرئيس الأمريكي يتزعم الرابضين تحت ضغوطات الاتجاه الأول، فيما كان شوارسكوف صاحب الأفكار الذي ترهقه ظروف وملابسات الاتجاه الثاني.

وعبر الخط الساخن الذي أقامته وزارة الدفاع الأمريكية ما بين مكتب الرئيس الأمريكي جورج بوش، ومقر قيادة الجنرال نورمان شوارسكوف، حاول الاثنان معاً - بكل حصافة ودبلوماسية - تقريب وجهات النظر التي تفرضها عليهم ظروف ومتطلبات مختلفة:

● فهناك - في جنوب العراق - ضحايا أمريكية تتساقط، وأعداد من القتلى والجرحى والدبابات، تبدو على ساحة المعركة البرية أشلاء متناثرة.. وهي صورة مظلمة قاسية في حياة الرئاسة الأمريكية، لا تحتمل ظروف السياسة الداخلية أن

تسمح بوصول أخبارها إلى الشعب.

● وهنـاك فرق عسكـرية برمتها محاصرة تنتظر الموت والدمار، أو هي على حافته . . وهي صورة أيضاً قاسية لا تحتمل إملاءات الدعاية العسكرية الأمريكية مشاهدة جوانبها، أو انفلات مشهد منها عبر الصحافة الدولية إلى العالم.

● وهناك صحافة غربية وفرنسية على الأخص قد لجّت وضجت تريد السماح لها بإطلاق أيدي مراسليها وكاميراتهم التصويرية ليجوبوا ساحة القتال من غير قيود. . وإذا تم لهم ذلك أو استطاعوه فهي فضيحة لا تعادلها فضيحة.

● وهناك فرقة، هي بالاعتبار العسكري الأمريكي تمثل العمود الفقري بالنسبة للجيش الأمريكي، تم القضاء عليها وتدمير كامل معداتها قبل وصولها إلى الأرض، وهي الفرقة ٨٢ المحمولة جواً.

● وهناك ظروف الطقس التي جاءت كأنما هي على غير موعد، تعاكس كل رغبات المقاتلين الأطلسيين، وتمنع طائرات القتال العمودية من الإقلاع إلى أهدافها المنتخبـة، فكانت تلك الظروف في الاعتبار العسكري الميداني هي الأسوأ منذ اندلاع الحرب، أو ربما يمكن اعتبارها القشة التي قصمت ظهر البعير.

● وهناك ضغوط سوفياتية ـ بدأت تثير القلق ـ وتظهر مخاوفها من أن الأيدي الأمريكية الأطلسية العسكرية قد خرجت ـ في عملياتها العسكرية ـ عن الخطوط العريضة المتفق عليها. . وأن هذا الأمر لا يستيطع معه الرئيس السوفياتي ميخائيل جورباتشوف أن يُخبت من مخاوف القادة العسكريين المتشددين عنده، وهم قادة بدأت تثور ثائرتهم من صورة إطلاق اليد الأمريكية على مقربة من حدود بلادهم الجنوبية.

● وهنـاك النصائح المصرية التي تتوالى إلى البيت الأبيض بمعدل مرة كل

يوم، تفيد بأن استمرار أمد الحرب بشكل عام إذا بلغت مشارف شهر رمضان المبارك، فإنها ستكون عامل ضغط على السياسات الشرق أوسطية، خاصة وأن مشاعر المسلمين في كافة أنحاء الأرض تكون أكثر جياشة وتعصباً للمبادىء القومية والدينية. كما أن الحرب البرية بطبيعتها القاسية وبطبيعة الصراع فيها، إذا تم أو قُدّر للإعلام الغربي أو العربي أن يُظهر شيئاً من بروز القوة العراقية على القوة الأطلسية.. فإنها ستكون من أكبر العوامل التي يمكن لها أن تؤلب مشاعر الشارع العربي من أقصاه إلى أدناه لصالح العراق، وهو أمر لا يمكن احتماله بالنسبة إلى مصر خاصة، وخاصة أن دوام الجامعات المصرية أصبح على الأبواب أو هو قد بدأ بالفعل.

● وهناك قصور العائلة المالكة في السعودية وفي دول الخليج قاطبة، بدت صورتها وهي تتهاوى جنباتها يوماً بعد يوم وقصراً بعد قصر. . أمر يزعج ليس الملك وحده، بل أمراء الخليج بأكملهم، بالإضافة إلى أن إعادة بناء هذه القصور يكلف الحكومات الخليجية وخاصة السعودية منها، مئات المليارات من الدولارات، وهو أمر لا يمكن تصوره أو احتماله.

● وهناك تُكنة الطيارين بمنطقة الخُبَر التي سقط عليها صاروخ عراقي، وتبعه ثلاثة صواريخ من نوع باتريوت وانفجرت كلها بوسط الثكنة التي كان يستريح بها نحو ٣٠٠ طيار من قوات التحالف الأطلسي. . . وهو منظر لا يمكن للسياسة الأمريكية خاصة إحتمال مشاهدة قسماته.

● وهناك المستشفيات السعودية والمستشفيات البحرية أصبحت تضجّ بعدد القتلى والجرحى. . وأن روائح هذا الأمر بدأت تخرج من نوافذ تلك الأماكن، وتسرب أخبارها أصبح أمر يصعب ضبطه أو السيطرة عليه. . وهي حالة إذا انفلتت أخبارها إلى الصحافة العالمية، فإنها أمر لا يمكن قبوله أو سماع نتائجه.



الرياض - ضباط سعوديون وجنود امريكيون يتفحصون الدمار الذي تسبب به صاروخ عراقي اعترض صاروخ اميركي من نوع باتريوت بالرياض امس
صورة من «فرانس برس» خاصة بـ «القبس»

● وأخيراً، وهـو الأمر الأكثر تعقيداً والأبلغ صعوبة، تلك المخاوف التي لا يمكن قبولها بالنسبة لردة الفعل العربية، إذا انفلتت ضوابط الصبر الإسرائيلية على عدم الرد على ضربات الصواريخ العراقية الموجعة على كل من تل أبيب وحيفا ويافا والمفـاعـلات النـووية الإسـرائيلية في النقب وديمـونة، ومصنع الغاز، الذي لولا احتياطات الأمان التي اتخذتها السلطات الإسرائيلية وقامت بتفكيك بعض مخزونات الغـاز والمـواد الكيمـاوية ووقف العمـل بهذا المصنع العملاق قبل بدء الحرب، لتحققت مقولة الرئيس العراقي صدام حسين باحتراق ثلث إسرائيل بعد لحظات من قصف هذا المصنع.

وبالاتجاه الآخر، فإن شوارسكوف ينظر إلى المعركة من جوانب أخرى:

● فأهـداف الحملة الرئيسية ربما ستتحقق لو استمرت العمليات العسكرية لفترة أطول، وأن وقف العمليات ضمن هذه الظروف الحرجة وفي هذا الوقت بالذات ربما يخطف بريق النصر بكامله.



آثار صواريخ الحسين في تل أبيب

● والنـظام العراقي ـ لا زال يمسك بزمام السلطة مع كل هذه القلاقل التي أحدثتها له هذه الحرب البرية، والتي ـ كما يراها شوارسكوف ـ أنها أقرب إلى حالة إسقاط النظام العراقي والإمساك برئيسه كما تم الأمر نفسه مع رئيس بنما «نورييغا» منها إلى حالة تألب الشارع العربي لصالح هذا النظام.

● وأن قذائف الجيش السـابـع الأمـريكي النووية التكتيكية بدأت تؤثر في دبابات الحرس الجمهوري ت ـ ٧٢ و ت ـ ٦٢ التي تعتبر الأعقد تحصيناً وتصفيحاً وتسليحاً ومقاومة لقذائف الدروع الغربية، وهي قذائف لو استمرت الحرب البرية لفترة أطول ـ حسب رأي شوارسكوف ـ يمكن أن تجبر الحرس الجمهوري بأكمله على الركوع والاستسلام.

● وأن الحرب النفسية بدأت تأخذ مفعولها في الشارع الشعبي العراقي المزدحم بالملل والطوائف المختلفة بعقائدها ومعتقداتها وأهدافها. . . وأن صورة تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات متناحرة ـ شيعية في الجنوب، وسنية في الوسط، وكردية في الشمال ـ هي أقرب إلى التحقق منها إلى خيبة الأمل.

□

وبالمقابل من ذلك كله، فإن الرئيس العراقي لم يرعه من الأمر كله غير صورة المحافظات الثماني عشرة وهي تتزلزل تحت أركان سلطته؛ وحالة الفوضى التي عمّت البلاد بأكملها، وصورة قاتمة مظلمة مُريعة بالنسبة له لم يكن يتوقع حدوثها؛ تلك هي حالة الخيانة العظمى في صفوف شيعة الجيش وشيعة البصرة. . ثم إنه رئيس دولة فُرضت عليه حالة الحرب أصلاً ولم يكن راغب في بدئها، فكيف لا يكون راغب في وقفها؟

□

في مثل هذه الصورة المليئة بالإملاءات السياسية والعسكرية والظروف القاسية، والإرهاصات الراهنة، والآمال القريبة. . كانت كلمات قبول وقف إطلاق النار، وكلمة الرمز الذي يجب عليه أن يصدرها إلى قادة الميدان تحت إمرته «Ave Marins» تخرج من فم شوارسكوف وهو يضغط عليها من بين أسنانه المتراصة على بعضها، كمن يبدو في صورته، وظروف الكياسة الاجتماعية تفرض عليه أن يظهر بمظهر المبتسم الراضي وهو يمتلىء قهراً وغيظاً على قبول أمر لا يريده أو يُفرض عليه.

□

وأخيراً، كانت محادثات صفوان التي تم الاتفاق على عقدها بين وفدٍ عراقي برئاسة الفريق أول الركن صلاح عبود قائد قوات محمد القاسم العراقية، وهو قائد

مقرّب إلى الرئيس العراقي صدام حسين، ووفد غربي برئاسة الجنرال نورمان شوارسكوف. . وهي محادثات تم إملاء ظروفها وشكليتها ومكان انعقادها من قبل القوات العراقية، وتم تأجيل موعدها أكثر من مرة من قبل السلطات العراقية حتى تأكدت هذه السلطة من صدور قرار لمجلس الأمن الدولي يدعو إلى وقف العمليات العسكرية في الخليج ويحثّ على المحافظة على سيادة وسلامة أمن وأراضي العراق.

ودخل الوفد العراقي إلى الخيمة الزرقاء التي بنتها قوات التحالف الأطلسي خصيصاً لهذه الغاية وفق شروط عراقية، حيث بدت على حالتهم العامة صورة لا تخلو من خيلاء النفس وزهوها، وهو أمر لم يكن يتوقعه المراقبون عبر شاشات التلفزة العالمية، لما سمعوه من مصادر الإعلام الغربي عن تحطيم القوة العراقية ونفسية المقاتلين العراقيين، سواء أكانوا أفراداً أو ضباطاً أو قادة.

وبالرغم من أنّ كثيراً مما جرى أو تم الاتفاق عليه بين الوفدين داخل تلك الخيمة لم يُكشف النقاب عنه أو ظل غامضاً لغاية الآن، إلَّا أن مصدراً موثوقاً به أكد لي نقلاً عن الفريق أول الركن صلاح عبود قوله «إننا رتبنا الوضع مع الأمريكان لسنوات قادمة، وإن ما تشاهده على شاشات التلفزة العالمية الآن هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة».

هذا بالإضافة إلى أن بنوداً كثيرةً من هذا الاتفاق تم الكشف عنها واستطعت الحصول على بعضها، مثل:

● إعادة كامل الموجودات التي كانت في البنك المركزي الكويتي والمتاحف الكويتية إلى السلطات الكويتية.

● عدم إقلاع الطائرات العراقية المقاتلة فوق خط العرض **٣٦** المار بشمال العراق.

● عدم المساس بسيادة وأمن وسلامة الأرض العراقية وعدم التدخل في شؤونه الداخلية.

● الموافقة على نشر قوات تابعة لهيئة الأمم المتحدة على الحدود العراقية الكويتية لمراقبة وقف إطلاق النار.

● الموافقة على تشكيل لجنة دولية لترسيم الحدود بين العراق والكويت.

● الموافقة على استقبال لجان التفتيش التابعة لوكالة الطاقة الذرية للتأكد من عدم استخدام المفاعلات النووية العراقية لأغراض عسكرية.

● الموافقة على تدمير العراق لأسلحة الدمار الشامل التي بحوزته، وصواريخ سكود التي يزيد مداها عن ١٥٠ كم.

● الكشف عن مواقع وإحداثيات الألغام المزروعة في الكويت من قبل القوات العراقية.

● تبادل الأسرى وتسليم الآليات المدمرة[1] والتي تم الاستيلاء عليها.

● انسحاب القوات الغربية من الأراضي العراقية التي احتلتها أو وصلت إليها أثناء الحرب البرية.

● تنظيف منطقة جنوب العراق وجنوب غربه من القنابل الانشطارية والقنابل والذخائر غير المتفجرة (العمياء بلغة العسكريين) وبقايا وآثار القنابل النووية التكتيكية.

● إطلاق يد القيادة العراقية في إخماد الثورة في الشمال والجنوب.

● غض النظر عن استيراد المواد الضرورية عبر الأردن وسوريا وإيران إلى العراق وتصدير النفط العراقي إلى الأردن.

● عدم تدخل العراق في الشؤون الداخلية لكل من الكويت والسعودية.

● التخلي عن الإرهاب والعنف الدولي من قبل الطرفين، العراقي والأطلسي.

---

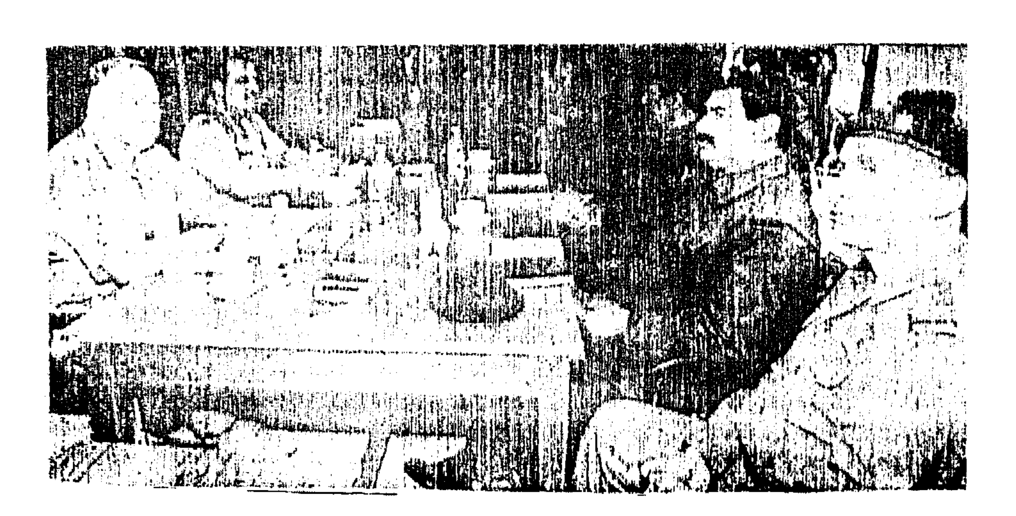
(١) وقد أعلن عن بيع هذه الآليات في مزاد علني بالسعودية في مطلع عام ١٩٩٢.

● الكشف عن عدد الصواريخ التي يزيد مداها عن ١٥٠ كم وكميات الأسلحة والذخائر المعمّرة بأسلحة كيماوية وبيولوجية، والموافقة على تدميرها وتدمير المدفع العملاق.

● الكشف عن مواقع المفاعلات النووية السرية والمصانع الكيماويةوالبيولوجية في جميع الأراضي العراقية.

● عدم الإفصاح أو الحديث عن خسائر الطرفين.

● فك الحصار المفروض على العراق وإلغاء كافة القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي المتعلقة بهذا الشأن فور التزام العراق بهذه البنود المتفق عليها.



الوفدان العراقي والأطلسي في الخيمة الزرقاء
أثناء محادثات صفوان

دور
وسائل الإعلام في هذه الحرب

وقفت سيدة أمريكية أمام كاميرات الصحافة والتلفزة الأمريكية أثناء مظاهرات احتجاج نظمها بعض المناهضين الأمركيين والعرب أمام البيت الأبيض، تقول والغضب والارتياب باديان على تقاسيم وجهها «هذه حرب مُعدّة للتلفزيون، وكأن أحداً لا يموت فيها. . نطالب بكشف كل الحقائق».

وبالفعل، فإن كل أشرطة الفيديو التي تم عرضها على شاشات التلفزة العالمية، وكل الصور الفوتوغرافية التي تم نشرها في الصحف والمجلات العالمية، وحتى الأخبار الكلامية. . كانت في أغلبها مُهتمة، إما بإبراز شكليات الأزرار القيادية في الطائرات الحديثة الصنع لحظة الضغط عليها من أجل إطلاق الصواريخ، أو إفراغ حمولة القنابل، والتي لم يخطر ببال الكثيرين ـ ممن كان همهم الأكبر مشاهدة ما يجري على شاشات التلفزة أو عبر المذياع والصحف ـ أن يسأل نفسه، أين انطلق هذا الصاروخ؟ أو أين سقطت تلك القنابل والقذائف الليزرية منها والتقليدية وغير التقليدية؟ هل هي أصابت أهدافها بدقة؟ هل هي أصابت أهدافاً عسكرية أم مدنية؟ هل هي انطلقت أو سقطت على أهداف ذات مساس بالنواحي العسكرية، أم أنها توجهت إلى أهداف لا علاقة لها بالحرب[1]؟ حتى وإن هي أصابت أهدافها أو غير أهدافها، فما هو حجم الدمار الذي أحدثته؟ وما هو شكل المأساة التي صنعتها وتركتها؟

---

(١) كبيوت الشعر البدوية أو ملاجىء الأطفال أو مصانع الحليب!

تلك إجابات وحالات كان من المحرّم على وسائل الصحافة والإعلام الوصول إليها، أو النفاذ أو الإفلات بنادرٍ منها تم الحصول عليه.

فسياسة هذه الحرب كانت تحكمها وتسيطر على كل خلجة فيها:

● تبعيات فيتنام - وما تلىٰ تلك الحرب من مشاهد لا زالت تُرهق كاهل السياسة والشعب الأمريكي.

● والمراهنة الرئاسية - في البيت الأبيض وغيره على أن عدد القتلى من جنود التحالف ستكون أرقاماً لا تذكر، وأن لا فيتام أخرى على الإطلاق، وأن الأهداف المنتقاة ستكون عسكرية ١٠٠٪، وأن الحرب ستكون قصيرة جداً، وأشبه ما تكون بالنزهة بالنسبة للجنود الأمريكيين خاصة!

فأي مشهد قد يظهر في الصحف أو على شاشات التلفزة؛ يثير المشاعر الكامنة من عهد فيتنام، أو يكون من شأنه إضفاء صفة الخسارة على مراهنات المراهنين، أمثال بوشٍ وكولن باول وتشيني، فإنها ستكون بالنسبة لهم ولسياساتهم أكبر كارثة في التاريخ.

لذلك، فإن كل خبر، وكل صورة، وكل فيلم.. وكل وكالات الأنباء العالمية العربية، كانت محكومة بضوابط وروابط تمنعها من الإفلات بأي شيء قد يُثير الجدل على المراهنات الأمريكية.

أكثر من ٢٦ ألف طن (بالضبط ٢٦,٣٦٣,٠٠٠ كغم) من القنابل أُلقيت على أرض العراق! ناهيك عن الصواريخ الموجهة والصواريخ المنطلقة من الطائرات الحربية والطائرات الاستراتيجية ب - ٥٢ وطائرات الشبح الخفية، هل كلها سقط على أهداف عسكرية؟ لو أن هذا الكلام صحيح، لما بقي من الجيش العراقي جندي واحد على الأقل[1].

---

(١) بدليل ان الجيش العراقي لم يبلغ قوامه المليون جندي (٩٥٠,٠٠٠) والقنابل التي أُلقيت =

إن قنابل عملاقة مثل قنبلة (CGC75) التي صنعت خصيصاً أثناء الحرب لتُلقى على مقر قيادة الرئيس العراقي صدام حسين، كانت قدرتها التدميرية تصل إلى تدمير مساحة ملعب كرة قدم ٧٥ مرة. وإن القنبلة الليزرية التي أُلقيت على ملجأ العامرية من قبل طائرة (ف١١٧) الأمريكية كانت لها قدرة اختراقية تصل إلى ٤ أمتار من الاسمنت الثقيل التسليح، ثم الانفجار في الفراغ الذي تصل إليه بقدرة تدميرية تستطيع قتل ٣٠٠٠ شخص بلمحة بصر.

آلاف من محطات التلفزة العالمية، وآلاف أخرى من الجرائد والمجلات العالمية، كلها كانت تنقل أحداث الحرب ساعة بساعة ولحظة بلحظة.. ولكن ولا واحدة منها استطاعت أن تعرض لمشاهديها أي مشهد من مشاهد هذه القنابل وهي تنفجر على ضحاياها أو أهدافها.. حتى التي استطاعت منها أن تنفذ بمشهد من بين آلاف تلك المشاهد، لم تنقل لمشاهديها غير مساحة الوميض والدخان الذي ينبعث من مكان انفجار تلك القنبلة.. أما صورة أو مشهد أو لقطة لضحايا وأشلاء متناثرة بريئة من الحرب أو غير بريئة.. فلا وألف لا.

«إن ما رأيته في العراق يوم من أيام القيامة» هكذا كان جواب الأمين العام المساعد للأمم المتحدة أثناء زيارته للعراق واطلاعه على حجم الدمار الذي حصل فيه.

«إن العراق بيئة غنية بالأهداف» هكذا قال القادة السياسيون والعسكريون الأمريكيون عند سؤالهم عن مدى ضرورة إلقاء كل هذه القنابل والصواريخ من الجو - لمدة ٤٣ يوماً دون انقطاع - على العراق، وقد اعتقد الذين سمعوا هذا الجواب للوهلة الأولى، أن المقصود بكلمة «الأهداف» أهداف عسكرية، ولم يكن يعلموا أن

= هي أكثر من ٢٦ مليون كغم. ألا يكفي كل جندي ٢٦ كغم لقتله وتدمير معداته؟!! لو كانت الأهداف كلها عسكرية؟

كل شيء على الأرض العراقية ـ بالنسبة لبوش وأعوانه ـ هو هدف عسكري واستراتيجي.

«لسنا طرفاً في نزاع مع الشعب العراقي. إن خلافنا مع (ديكتاتور) العراق فقط». هذا ما صرح به جورج بوش للصحفيين يوم ٩٢/١/١٠.

وجواباً على هذا الجواب، فإننا نقول: وما ذنب بيوت الشعر وأشجار النخيل وملاعب الأطفال يا بوش؟

فأين كل هذا الخلط للحقائق من كل ذلك الضبط للإعلام الكاذب؟؟

لا شك أن الفارق كان شاسعاً وواسعاً إلى درجة لا يمكن حصرها.

فبالرغم من أن هذه الحرب التي حدثت، وكانت بشعة بكل تفاصيلها، مجرمة بكل أهدافها، وحشية بكل أساليبها.. إلّا أن وكالات الأنباء ووسائل الإعلام قاطبة لم تستطع أن تنقل لنا مشهداً من مشاهد تلك الجرائم الوحشية البشعة القذرة التي لا تمثل إلّا مدى الحقد الغربي على الشعب العربي.

«يجب إقصاء جميع أفلام الحرب عن الجبهة.. يجب أن تحرّف الأخبار، يجب أن تلغى المعدات السمعية من آلات التصوير حتى لا يسمع الجنود أصوات الطيارين المنهارين عندما يواجهون الخطر».

هذه مقولة بسيطة من توجيهات رئيس هيئة الأركان المشتركة كولن باول إلى قائد قوات التحالف في ميدان الخليج نورمان شوارسكوف.

وهذه هي الحقيقة.. فوسائل الإعلام، كان مسيطر عليها إلى درجة لم يسبق لها مثيل في التاريخ، ولقد كانت بذلك تمثل العامل المساعد على صفاء ذهن القائد العسكري والسياسي الغربي الأطلسي، وهي وسائل كان درجة ضبطها والتحكم بالأخبار واللقطات التي تصل إلى أيديها درجة يمكن الفخر بها من الجانب الأطلسي. وكلها كان مرتبط بما تحضره وتنتجه لها طواقم الصحافة والمونتاج التابعة

لوزراة الدفاع الأمريكية ـ التي أحضرت مع شوارسكوف إلى السعودية ـ والتي كانت هي الأخرى محكومة برقابة سياسية وعسكرية أمريكية صارمة وحازمة.

فلا خبر يُسمع فيؤثر على معنويات الجند، ولا مشهد يظهر فيؤثر على عواطف الشعب.

والمصيبة في ذلك كله، أن مشاعر المشاهد العربي، من أقصى غربه إلى أدنى شرقه كانت ـ وهو يمر بحالة الإدمان على مراقبة أفلام هذا الإعلام الكاذب ـ نفس مشاعره وهو يراقب أفلام السينما التي تهتم بالرعب. فكانت ملامح شخصيته وفكره آنذاك مزيجاً متهتكاً من العواطف الهائجة الثائرة.. والأطراف الثابتة الساكنة!!

فأي حالة من تردي المشاعر الجياشة والنخوة العربية، وصل إليها حال العرب عامة أثناء مشاهدتهم وسماعهم لما يجري في العراق من ذبح للشعب وهدم للحضارة ومعاداة للعروبة والإسلام؟!

ذلك كله كان نتيجة موصولة للدور الذي صُمم لوسائل الإعلام أن تلعبه أثناء حرب الخليج.

الخَسَائر

«ما غُزي قوم قَط في عقر دارهم إلاّ ذُلوا». هذه حقيقة قالها ونادى بها سلفنا القيادي الناجح قبل ثلاث عشرة مئة سنة. وهي حقيقة حدثت في مواقع كثيرة من التاريخ كان آخرها سنة ١٩٩١م، وهي حالة كان لها دور في جعل الخسائر المادية، مدنية كائنة أو عسكرية، هي أكبر في الجانب العراقي.

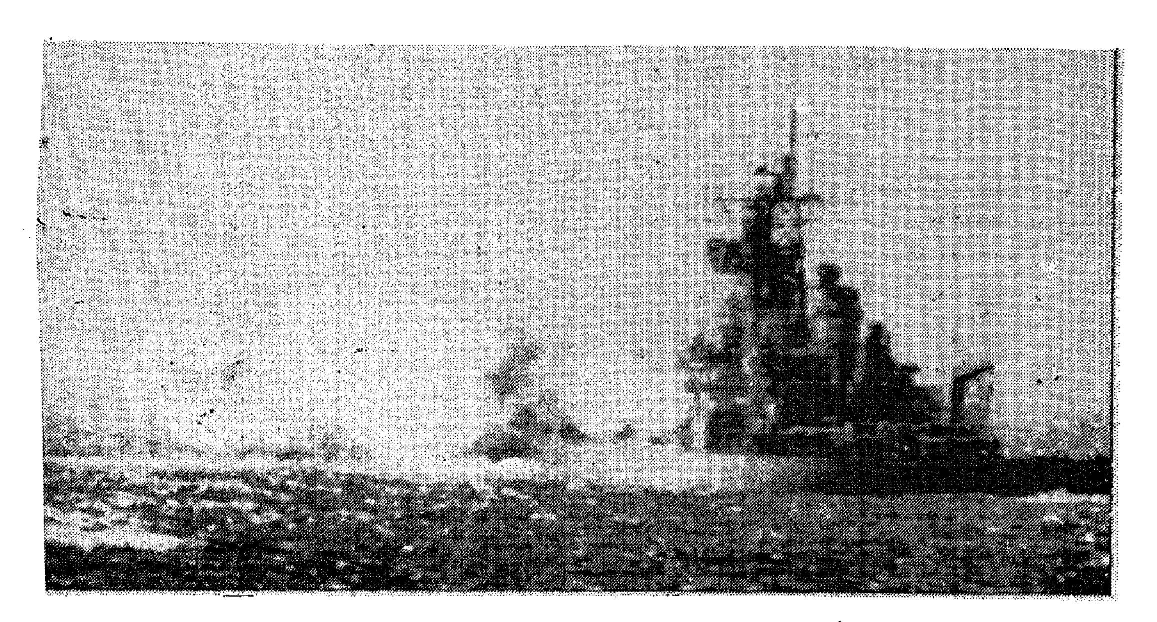
فالعـراق كان يحارب بأرضه ومصانعه ومفاعلاته، ودور السكن فين، ومتاجره وأسواقه وجسوره وملاعبه.. وكل شيء على أرضه، بالإضافة إلى جيشه. بينما قوات التحـالف كانت تقاتل فقط بجيشها، لذلك كانت عُرضتها للخسائر أقل بكثير.. بالإضافة إلى أنه من غير العدل أن ننسى أن العراق وحده كان يقابل ٣٠ دولة كان بينها ٣ دول هي من أعظم الدول في العالم قوة وتسليحاً. فأي خسارة استطاع العراق أن يكبّدها للعدو الأطلسي، فإنها تستحق أن تسجل له في سجل التاريخ والمفخرة.

ولقد استطاع ـ ومع كل ذلك ـ أن يكبد العراق قوات حلف الأطلسي وما أضيف إليها من قوات في حفر الباطن، خسائر يمكن حصرها أو حصر ما أمكن الحصول عليه بما يلي:

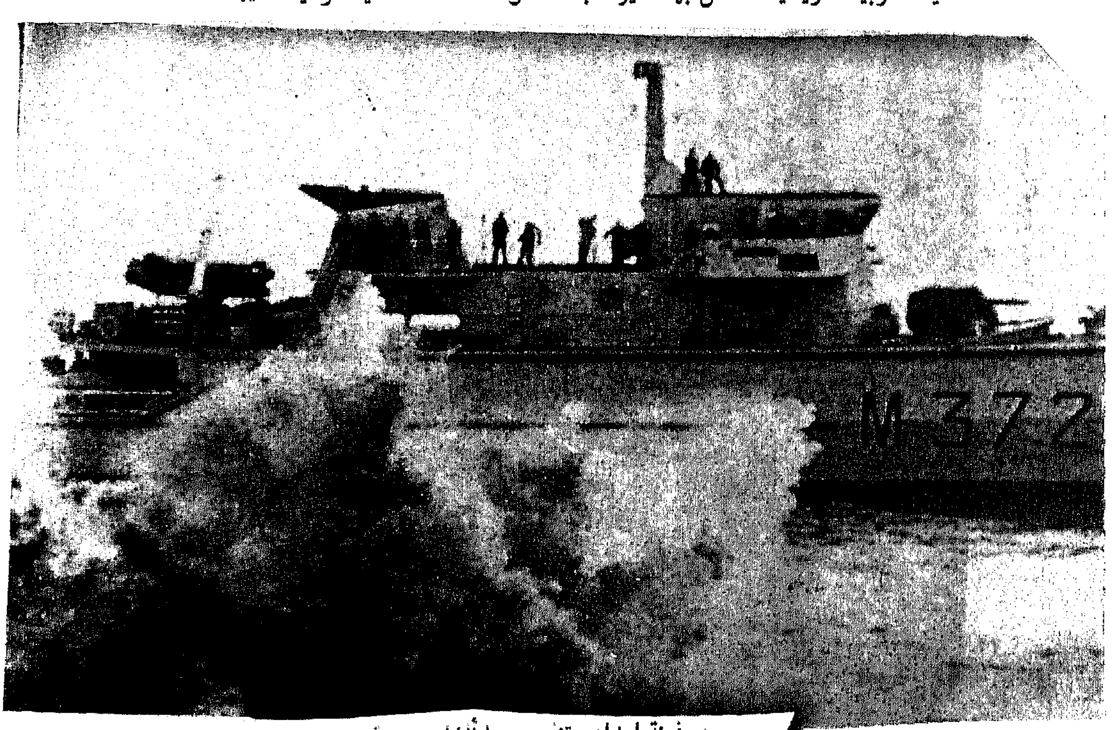
١ ـ خسائر مرحلة القصف الجوي:

- تم إسقاط ما مجموعه ٣٤٨ طائرة حربية.
- أسر ما يزيد عن مئة طيار.

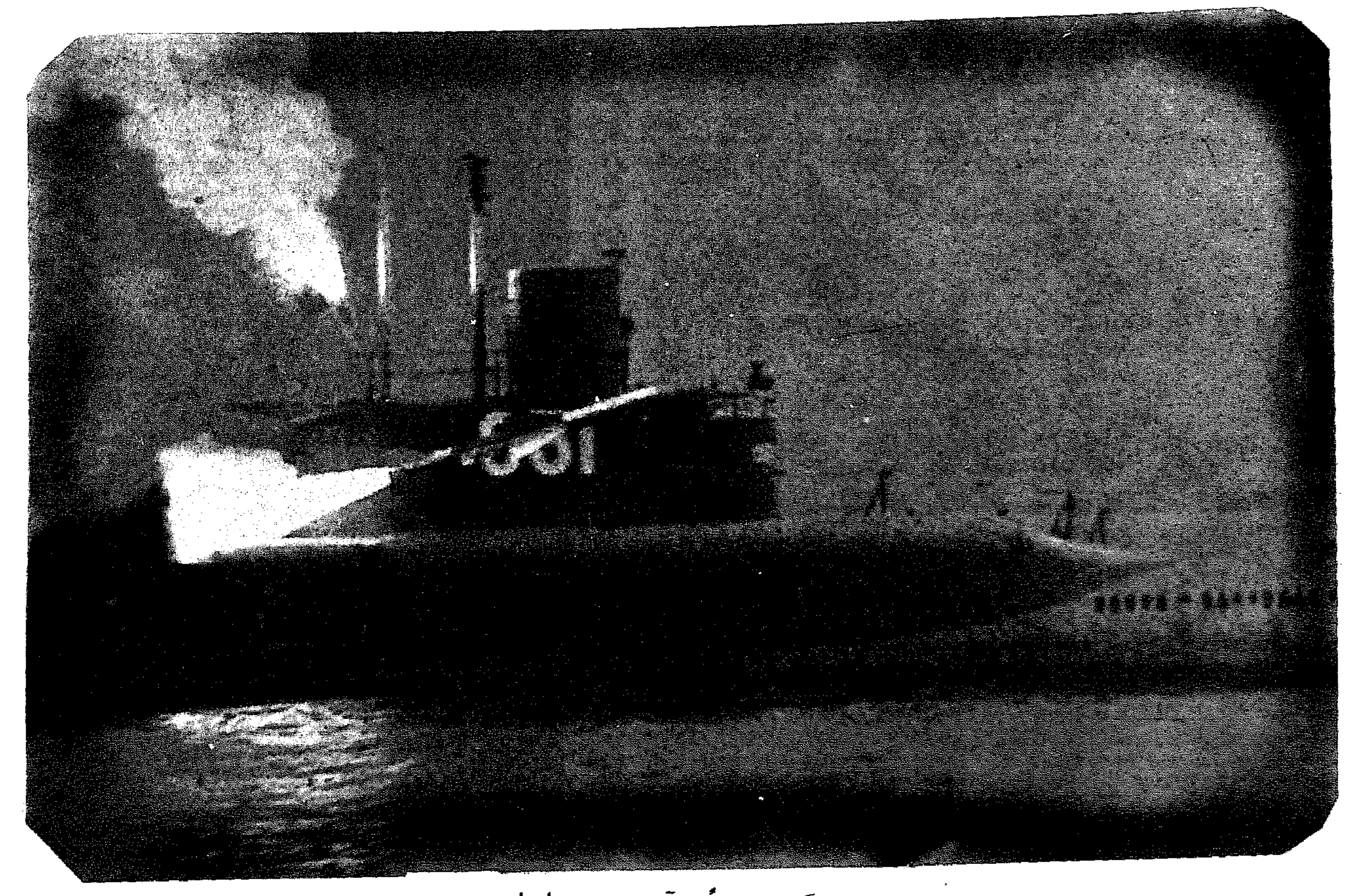
- تدمير قاعدة الظهران بصواريخ الحسين والعباس.
- تدمير ثكنة الطيارين بمنطقة الخُبر وبها نحو ٣٠٠ طيار و ٥٠٠ جندي تابعين لسلاح الجو.
- تدمير ٢٧ دبابة أثناء عملية الخفجي وأسر ٢٧٥ جندياً.
- إلحاق أضرار جسيمة بمفاعل ديمونة الإسرائيلي.
- تدمير وزارة الدفاع الإسرائيلية.
- تدمير مصنع الغاز الإسرائيلي، وهو أكبر مصنع في إسرائيل.
- تدمير ما يزيد عن ٧ مصانع عسكرية واستراتيجية إسرائيلية في تل أبيب وحيفا ويافا.
- تدمير ما يزيد عن ٢٨ قصراً ملكياً وأميرياً في السعودية والإمارات والبحرين وقطر.
- إلحاق خسائر مادية جسيمة بوزارات الدفاع الخليجية قاطبة.
- إسقاط ١٦ صاروخ من نوع توما هوك.
- تدمير ٣ سفن حربية في عرض الخليج.
- إلحاق أضرار فادحة في مطار الرياض وقاعدة حفر الباطن، وقاعدة الهفوف، وقاعدة تبوك، وقاعدة خميس مشيط.



سفينة حربية أمريكية تشتعل بها النيران بعد سقوط قذائف مدفعية عراقية عليها



. . وسفينة إمداد، تنفجر بها ألغام بحرية



بارجة تطلقَ صاروخاً، وآخر ينقض عليها

٢ ـ خسائر الحرب البرية:

- تدمير ما مجموعه ٣٢٤ ما بين دبابة وعربة جند مدرعة وعربة قيادة.
- ٧٠٠ بئر نفط كويتية تم إشعالها.
- أسر ٢٨٤٠ جندياً وضابطاً.
- قتل ٤٩٥٨٠ جندياً وضابطاً[1].
- إسقاط ٧ طائرات عمودية.

٣ ـ خسائر ما بعد الحرب:

- مصرع ٨٥ خبير متفجرات وإزالة ألغام من بينهم مصريين وبريطانيين وأمريكيين.
- ٤٠٠٠ قتيل وجريح نتيجة انفجار الألغام بهم في الكويت.

أما خسائر الجانب العراقي فقد كانت على النحو التالي:

١ ـ مرحلة القصف الجوي:

- جسور ثابتة ومعلقة ١٣٣ جسراً[2].
- طرق رئيسية وفرعية ٩٩٠ كم.
- ٣٣٤ مبنى تابع لوزارة الداخلية.

---

(١) علماً أن وزارة الدفاع الأمريكية اعترفت ضمن تقرير لها نشرته في بداية عام ١٩٩٢ وتم نشر مقتطفات منه في الصحف العالمية أن مجموع الذين سقطوا في حرب الخليج من القوات الأمريكية بلغ ١٤ ألف قتيل.

(٢) من بينها جسر «تموز المعلق» الذي استطاعت تدميره يوم ٩١/٢/٩ بعد أن ألقت عليه ما مجموعه ١٥٦٠ قنبلة حسب اعتراف الطيار البريطاني الذي أُسقطت طيارته أثناء قصف الجسر، وتم أسره.

- **٢٢٧٧** وحدة تابعة لوزارة النقل والمواصلات «ما بين محطة بريد ومقسم ومديرية وبرج اتصال».
- **٤٦** مبنى من مباني الجامعات والمعاهد الحكومية.
- **٤١٥** مستشفى ومركز صحي وعيادة.
- **٣٩٣٤** مدرسة وروضة أطفال ومبنى مديرية تابع لوزارة التربية والتعليم.
- **٢٥٤** مبنى من مباني وزارة المالية.
- **١٥٣** مستودعاً وحاصلة ومبنى تابع لوزارة التجارة.
- **٤٦٤** قناة مياه ومحطة ضخ ومصنعاً تابعاً لوزارة الزراعة والري.
- **٩٦** منشأةً بترولية.
- **٢٣٩** مصنعاً تابعاً لوزارة الصناعة.
- **٥٨** مبنى تابعاً لوزارة العدل.
- **٤** مساجد ودور عبادة.
- **٩٢** مبنى تابعاً لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية.
- مبنى الإذاعة والتلفزيون العراقي.
- بالإضافة إلى شبكات الصرف الصحي كاملة، وشبكات الضغط العالي و **٢٤** محطة توليد كهربائية.
- **٢٧٥** دبابة وآلية مدرعة.
- ما يزيد عن **٣٠** طائرة حربية دمرت، و**٢٤٠** طائرة عسكرية ومدنية هربت إلى إيران
- بالإضافة إلى آلاف القتلى والجرحى من مدنيين وعسكريين.

٢ ـ خسائر الحرب البرية:

- تدمير ما مجموعه (**٣٢٠**) دبابة وعربة مدرعة وعربة قيادة.

- أسر أكثر من ٨٠٠٠٠ جندي أكثرهم من الشيعة[1].
- قتل ما يزيد عن ١٧٥٠٠ شخص عراقي ما بين مدني وعسكري، منهم ٩٧٨٥ جندياً دفنوا أحياءً في مناطق الجهراء والأحمدي واليرقان في الكويت.

٣ ـ خسائر ما بعد الحرب:

- تدمير كافة الصواريخ التي أبلغ عنها العراق ويزيد مداها عن ١٥٠ كم.
- تدمير كافة معدات وقنابل وصواريخ الحرب الكيماوية والبيوولوجية[2].
- تدمير معدات وتجهيزات المدفع العملاق.
- تدمير مبنى الأثير بالقرب من بغداد.

والمسلسل لم ينتهِ بعد.

---

(١) ٦٠٠٠٠ ألف شيعي استسلموا.

(٢) وحسب مصادر عراقية عسكرية فإن هذه الصواريخ بالفعل تم تدميرها، وإن هذه الذخائر من صنف كيماوي وبيولوجي أيضاً تم تدميرها. ولكن ما يجب أن يعرفه القارىء الكريم أن لكل صاروخ في العالم عمر محدد بسنوات معينة بعدها تصبح القذيفة (وخاصة غير التقليدية) والصاروخ غير صالح للاستخدام العسكري.

نتائج الحرب بشكل عام

لم تكن الحرب جاءت من أجل العراق والقضاء على العراق لأنه العراق، أو على رئاسة وحكم الرئيس العراقي صدام لأنه صدام. . بل إن هذه الحرب نشأت وجاءت إلى الشرق الأوسط من أجل القضاء على ثورة علمية عربية، وتقدم علمي وعسكري عربي، فلو أن ما حدث من تطور علمي وعسكري ـ كالذي حصل في العراق ـ حصل في الكويت، فإن الحرب ـ بلا أدنى شك ـ كانت ستدور على الكويت، ولو أن ما حدث من التطور نفسه حصل في السعودية، لكانت الحرب على السعودية. . وهي إذا كانت في الأردن فعلى الأردن، أو في اليمن فعلى اليمن أو مصر. . أو غيرها. فليس في قديم الزمان عرفنا أن هناك عداءً وثارات حرب بين أمريكا والعراق. . كل ما عرفناه وما ستعرفه الأجيال التي من بعدنا أن هناك فقط، تخوّف رهيب من تقدمٍ أو نهضةٍ عربية أو شرق أوسطية، يكون من شأنها حرمان المجتمع الغربي من نهب خيرات الوطن العربي.

وأن ما يجب أن يعرفه العرب عامة، أن أي شيء خسره العراق جراء هذه الحرب هو خسارة لكل العرب.

صحيح أن جيش العراق قد هزم في هذه الحرب غير المتكافئة، ولكن الحال الذي يحاول كل العرب ـ لغاية الآن ـ مواراة أنظارهم عنه، هو أن قلوب الكثيرين من زعماء وقادة الدول العربية قد هزمت من الداخل. . وإلى الأبد. والآن هي تعاني أكثر من العراق مرارة التبعية للأجنبي والانصياع لأوامره بلا أدنى قدرة على التردد أو

محاولة التهرب مما يفرضه عليها المستعمر.

ولقد كنا ـ بني العرب ـ قبل حرب الخليج، ومع حالة التماسك الواهنة التي كانت تبدو على صفحات تعاملنا مع بعضنا وتآلفنا، أكثر كرامة وأجلُّ هيبة، وأقرب إلى صون حقوقنا بأيدينا من صون مطالب وانتهاز وانتهاك غيرنا لمقوماتنا وكياننا. . وشعور قديم كان بيننا وتوارى ـ كما أظنه بعد هذه الحرب ـ أن الظلم إذا وقع على واحدٍ منا، يجب أن ترفعه أيدينا. . وحسب.

□

سألني أحد الزملاء عن ماهيّة الفارق ما بين الإنسان والحيوان؟ فقلت له: إن كنت تريد مني أن أقول لك: النطق، والضحك، العقل، فأنت مخطىء جداً، ويجب أن تعلم أن لا فرق بين الإنسان وغير الإنسان سوى:

- الكرامة.
- والطموح.
- والكذب.

فهناك الإنسان له كرامة، والحيوان لا يعرفها. وهناك الإنسان مليء بالطموحات والآمال، والحيوان لا يدركها. . وهناك الإنسان القادر على تزييف الحقائق، والحيوان لا يعرف إلى ذلك سبيلا.

أما الضحك والنطق والتفكير، فهناك القردة تضحك، وهناك الببغاوات تنطق، وهناك حيوانات كثيرة استطاع الإنسان أن يطور تفكيرها بحيث تؤدي له أعمالاً يبتغيها.

أما نحن العرب، فإننا. . . أي نفقٍ مظلمٍ هذا الذي عبرناه، وأي مصيرٍ مجهولٍ هذا الذي ننشده ونتوخاه؟!!

صروح حضــارة بُدّدت، ودور علمٍ هُدّمت، ومعـالم فخـرٍ وتقـدمٍ ونهضـة أُسقطت. . وظواهر وحدة عربية مُزّقت، وآبار نفط أُشعلت، وطاقات لا تأكلها النار أُحـرقت وأُعـطبت. . ودول غنى دائنـة، أصبحت دول نفط إلى دول آلة الحرب والهيمنـة مديونـة. . وأخيراً ركن من أركان الإسلام أُسقطت دعوته. تخبطت دولة العراق، وأُشعلت إمارة الكويت، وتبددت ملامح صورة ناصعة لأرض الكنانة كانت، وحـوصـرت أرض السنـوس، وصـودرت حرية الشعب من أرض الجزائر، وضُيِّق الخناق على السودان، ووضعت أرض الشام على هيئة الاستعداد للمصير الذي لا ترقبه، وأرض الحجاز على الأرضية التي لا تريدها؛ حجيج يعبرون وآخرين يُمنعون. . .

□ □ □

على أي حال، فإنه يجب أن لا ننسى أن هناك إطلالات مشرقة قد أطلّت علينا من خلال هذه الحرب التي:

- سال فيها دم العرب. .
- وسال فيها نفط العرب. .
- وأخيراً، اختلط فيها ماء العرب بنفط العرب بدم العرب. . في خليج العرب:

● قد عرّفتنا بحجم الضرر الناتج عن تمزق وحدتنا وترهل صفنا.
● وقد عرفتنا بحجم الحقد والغلّ الذي يكمن في صدر عدونا علينا.
● وقـد عرفت عدونا الأول أننا قادرون على الوصول إليه، وتحطيم صورته وصورة غروره وغطرسته.

كما يجب أن لا ننسى أن هذه الحرب:

- أقالت ٥ وزراء دفاع لقوات التحالف فور انتهائها.
- وأن ٣٠ دولة من أقوى دول العالم تسليحاً ومالاً ونفوذاً، عجزت عن تحقيق

مخططاتها في دولة عربية واحدة:

١ . فنظام الحكم في العراق باقٍ على حاله وقوته.

٢ . وشعب العراق ماضٍ في عزيمته وأَنَفَته.

٣ . وكل آلات الدمار والحرب لم تؤثر في قدرة العراق وآلته وصناعته.

. . . ولا جديد تحت الشمس، غير انكشاف نوايا المستعمر، وافتضاح إعلامه المتصهين.


هكذا . . سال دم العرب!
هكذا . . سال بترول العرب!
وهكذا اختلط ماء العرب ببترول العرب بدم العرب
. . في خليج العرب

خاتمة

من أجل العرب

«تتداعىٰ عليكم الأمم كما تتداعى الأَكَلَةُ على قصعتها، قالوا أمِنْ قِلَّةٍ نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل كثير، ولكنكم غُثاءٌ كغثاء السيل».

هكذا قال نبي الأمة وزعيم وحدتها قبل أربعة عشر قرناً من التاريخ. وهي نبوءة ثبت للعرب مدى صدقها ومطابقتها للواقع.

ومن نافلة القول أن نقول، إنه ليست المرة الأولى التي تتداعى فيها علينا الأمم؛ فتضيف إلى ضعفنا ضعفاً، وتزيد من تفتتنا وانحلال صورتنا أمام العالم. تضيف إلى هيبتنا ترهلاً، وتدسّ إلى كرامتنا جروحاً. تعنّف فينا الكريم لشهامته، وتسدّ على الناهض بيننا الطريق لقوميته وصدق نيته.

فهناك في العهد العثماني، أيام الدولة الموحدة، تداعت علينا أمم وأمم، فجعلتنا أشلاء متناثرة، وأعادتنا إلى قبائل متناحرة، ثم تركتنا دويلات واهنة غير متماسكة، كأنما هي كِسَرُ الخبز المتروكة بعد نَهَم الجشعين، أكثر ما يميزها ضعفها وقلة حيلتها وهوانها على الناس.

وهناك، في الزمن القريب «سنة ١٩٤٨م» تداعت الأمم على جزء عزيز من حضارتنا ووجودنا وقدّمته لقمة سائغةً لعدونا.

وهنـاك، في الزمن القريب أيضاً «سنة ١٩٥٦» تداعت الأمم على ركن من أركـان بيتنـا العـربي الكبير، وجـاست به حتى تركته على غير المِحجّة التي عرفناها ورضيناها.

وهناك في الزمن الأقرب «سنة ١٩٨٢» تداعت الأمم على جزء يُمثّل حالة الوهن فينا، وجاست به حتى جعلت منه خرقة بالية لا يطيق لباسها حتى أهلها.

وهنا في الزمن الحاضر «سنة ١٩٩٢م» تداعت الأمم وهاجها الضير والحنق على صوت علا نبأُه في الجزائر، ليس له ذنب ولا فيه عيب إلّا أنه يحمـل ملامـح صوت الحق الـذي يُرَعب باطلهم علينا وجشعهم فينا، ويُنَبىء بدفع ظلمهم وتبديد ظلماتهم عنّا.

وهنا.. وهناك.. أمثلة كثيرة، وواقعها لا زال يعيش معنا حتى يومنا هذا، في ليبيا، المغرب والسودان... وغيرها.

وقد ظن الذين ركنوا إلى السكون أو اللحاق بركب العِدَا أن ينفعهم فرارهم من الوقوف إلى صف الحق والعدل والأخوة.. ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم﴾. وها هو دبيب النملة التي أفزعتكم، وجركم الخوف وراءها، يتقدم صوتها فيكم وبينكم وعلى مسامعكم وتحت أبصاركم... يتقدم إلى سوريا، فهي تنتظر، وإلى ليبيا فهي ترتقب، وإلى السودان فهي تعلم وتألم، وإلى جزر حوار وفشة الديبل، فوفاق أهلها يحتضر، وإلى جيزان ونجران، فالمصير المرتقب غير مستبعد.

فأي منا ـ نحن العرب ـ بعيد عن الحال الذي حصل للكويت وحصل

للعراق؟ وأي منا لا يقف على شفير الهاوية إذا ما أرادت بريطانيا وأمريكا؟ وأي منا ليس في حالة كحال خيوط العنكبوت أو غثاء سيل كثر هديره وهان على المارقين حذوره وعبوره .

تلك حالة من الضعف والهوان عاشت فينا ومعنا قروناً وقرون ، قد عرف الكل منّا أسبابها ومسبباتها ، وقد عرف الكل فينا تبعياتها وما يترتب عليها .

فأي سبيل يدعونا ويرهبهم؟ وأي طريق يأخذ بأيدينا ويكفّ أيديهم؟ وأي حال يجمع شملنا ويُفرّق جمعهم علينا؟ وأي أمرٍ جللٍ عظيمٍ يُقوّي من عزيمتنا ويردّ كيدهم عنا . . . . ؟

ذلك هو الإسلام . . ولا غَرَر.

فدولة الإسلام ، هي التي حطّمت عنجهية الجهل ، وبدّدت معاقل الشر ، وأرست قواعد الحق والإنصاف والعدل . دولة الإسلام هي التي حفظت لغيرنا العهد ، وصانت فينا ولنا كل أسباب الكرامة والكبرياء والشرف والأمن . دولة عُمَر هي التي هدمت دولة الفرس . . ودولة المعتصم هي التي هدمت دولة الروم . .

ذلك هو الحل الذي يجب أن يسعى إليه كل العرب ، وقد وصل حالهم إلى ما وصل إليه ، وآل واقعهم إلى ما آل إليه . . وفيهم ومعهم كل أسباب القوة والعظمة والركن الشديد الذي ينبغي أن يتمسكوا به ويأووا إليه :

- فبلاد الهلال الخصيب توفرت فيها أسباب القوة العسكرية .

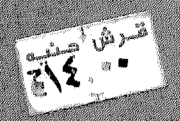
- وبلاد الخليج العربي توفرت لها أسباب القوة المادية .
- وبلاد النيل والمغرب العربي توفرت معها أسباب القوة البشرية .

فأي تكامل أمثل من هذا التكامل؟ وأية أسباب لتقوية الحال ورصّ الصف أعتد من هذه الأسباب؟ . . ألا فاعتبروا أيها العرب .

المحتويات

الفصل الرابع





المملكة الأردنية الهاشمية - عمان - وسط البلد
خلف مطعم القدس - ص.ب ٧١١٢ - هاتف [illegible]
فاكس [illegible] ٦٥١ ● منشورات [illegible] العام ١٩٩٣
● الغلاف: زهير أبو شايب